أنظمة من ورق
وشعوب من غثاء

« يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة
كحثالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة »
حديث البخارى

obeikandl.com

أنظمة وشعوب

أنظمة .. ولكنها من ورق

وشعوب .. ولكنها غثاء كغثاء السيل

وإذا كان الموت هو الحقيقة الوحيدة التى لا جدال فيها ، فإن ما أقوله حقيقة تأتى فى المرتبة الثانية بعد حقيقة الموت ، إذا كانت حقيقة الموت لا تحتاج إلى دليل وبرهان لأن الواقع يثبتها ، فإن هذه الحقيقة يؤكدها الواقع المرير الذى ليس بحاجة إلى دليل أو برهان .

فى هذا القرن العشرين ـ الذى مضى ـ وحتي اليوم ، رأينا ـ وما نزال نرى ـ أن الأمة الإسلامية والعربية : أنظمة وقادة وشعوبا وإعلاما .. لفظا بلا معنى ، وشكلا بلا موضوع ، متقدمة كما ، متخلفة كيفا ، لا وزن لها يذكر فى موازين القوى العالمية ، كما أن الأصفار من جهة الشمال ـ مهما كثرت ـ لا وزن لها ، ينطبق عليها المثل المعروف : نسمع جعجعة ولا نرى طحنا !!

ولا نحتاج إلى إجهاد ذهن ، لنبين أن هناك علة إجمالية ، هى أن هذه الأمة لم تنصرف عن منهج الله ـ وحسب ـ بل تجاوزت ذلك إلى مناهضته استخفافابه ! .

وقد تفرع عن هذه العلة الإجمالية أنظمة تتحكم ولا تحكم ، وتستبد ولا ترحم ، وأباطرة وأكاسرة وفراعنة ، يعتبرون الحكم تشريفا وليس تكليفا .. آلهة لا تسأل عما تفعل ، الدولة ملكية خاصة لكل منهم : أرضا وسماء ، وبحرا وجوا ، وشعبا وإعلاما .. كما تفرع عن هذه العلة الإجمالية : شعوب استوعبت السلبية المطلقة حتى أصبحت لذة لديها ، رضيت المذلة واستمتعت بها ، وهى تردد مقولة الجبناء والتعساء : « ليس فى الإمكان أبدع مما كان .. ووسائل إعلام مهمتها الأساسية تلميع الأباطرة والأكاسرة والفراعنة وأحفاد جنكيزخان وهولاكو .

وجاءت أحداث الثلاثاء الأسود لتؤكد أن قولنا عن هذه الأمة مجرد وصف متواضع غير لائق بالوصف المناسب ، أمريكا تشن حربا صليبية لا تستهدف ـ وحسب ـ دولة أفغانستان المسلمة ، بل العالم الإسلامى بدرمته ، وأفغانستان هى البداية ، وحين صرح أبرهة أو جورج بوش بأنه سيعلنها حربا صليبية ، لم يكن تصريحه زلة لسان ، بل عبر عن مكنون نفسه

الممتزجة بالحقد .. وبرغم ذلك بادرت الدول العربية والإسلامية بإعلان الولاء والتأييد والتعاون مع المجرم فى ارتكاب جريمته ، بعد أن تخلى القادة عن ضمائرهم بلا اعتبار لكرامة أوطانهم .

إن العالم العربى - بلا جدال - ركيزة الإسلام ، ولكن مما يدعو إلى الأسى المرير ، أن هذا العالم لا يعرف لهذه المكانة قدرها ، وعلة العلل التى نؤكدها ولا نتنازل عنها - هى الأنظمة الشمولية ، التى عزلت شعوبها عنها بالسوط والسيف وقوانين الطوارئ والمحاكم العسكرية ، بل هذه الأنظمة الشمولية جعلت شعوبها على هامش الحياة السياسية ، وجعلت حرية الرأى مكفونة فقط للألسنة والأقلام التى تجيد فن النفاق وحملة المباخر الذين توجههم الرغبة أو الرهبة ، وفى العالم العربى - شأنه شأن العالم الثالث - نرى وسائل الإعلام فى خدمة الأباطرة ، تهيئ لمقاماتهم الأضواء القائمة على الكذب والغش والابتذال .

قامت الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥ م وظن السذج بها خيرا ، وأدلى الشعر والأدب بدلويهما تزلفا .. لا أكثر ، ومنذ ستة وخمسين عاما مضت من عمر الجامعة ما تزال مبنى لا معنى ، ولفظا بلا مضمون .. عجزت عن أن تحول دون ضياع فلسطين ، لم يجتمع أعضاؤها إلا على أمر واحد ، هو أن يختلفوا ، كما أن هذه الجامعة نجحت فى أن تكون ساحة لسباق الزعماء ، وتنافسهم .

ومثلى لا يبقى الكلام على عواهنه :

كان بين يدى - وأنا أكتب هذه السطور « المشاهد السياسى » اللندنية ، العدد الصادر فى الخامس والعشرين من نوفمبر الماضى - وفيه تحقيق فى ست صفحات بقلم : هشام الديوان ، تحقيق مثير ، هيأت أعصابى لتحتمل قراءته ، إن الخطوط العريضة ، تقول :

« اتفاق على الشعارات وتضارب فى المصالح والسياسات » .

« غياب الاستراتيجية العربية فى زمن الأزمات » .

« التخبط الاستراتيجى العربى : العرب تحت «العولمة» وخارج العالمية»

يتساءل المحرر فى أسى مرير :

● « ما الذى يدفع العرب كأمة أو أقطار إلى إغفال أهمية التخطيط

الاستراتيجى ،والإصرار على « القطرية » فى وقت تتدافع فيه الأمم حتى المتناحرة منها وذوات الماضى العريق فى الصراع والتناثر ـ إلى التجانس والتكامل ؟؟ .

● لماذا يصر العرب قادة وشعوبا على البقاء خارج أرقام الزمن ، ومتطلبات المدنية ، ويديرون ظهورهم لمستلزمات البقاء أحرارا ، فى وقت يمتلكون فيه ثروة ناضبة ، وقدرا أقل من الحدود الدنيا من الإمكانات الصناعية والزراعية ؟؟ .

● هل يكفى التشبث بالكراسى ومآثر الحكم ، والثروة ، مبررا للتغافل عن متطلبات الحاضر والمستقبل ؟؟ .

ومما جاء فى التحقيق :

● فى عالم وارداته النفطية السنوية تتعدى ٣٠٠ مليار دولار، وهو رقم يفوق عدد سكان الأمة العربية كلها ـ هناك فقر مدقع إلى حد العجز والموت ، وهناك غنى فاحش إلى حد الرذيلة ، غير أن الذى يجمع بينهما هو غياب عامل الاحتياط للمستقبل .

● التخطيط الاقتصادى ، يتطلب عقولا مفكرة ، لا تتأثر بالبث القطرى المثقل بالأنانية ، ومغالطات ترتيب الأولويات ، ولم يتطلب مثل هذا الإجراء بالنسبة للتكامل الاقتصادى الأوربى إزاحة رئيس أو حاكم أو زعيم من أى دولة لتنصيب آخر . فما الذى يخشى منه أصحاب الحكم والقرار فى العالم العربى ، إذا ما فكروا بشكل حقيقى لا تمثيلى ولا وهمى من أجل خلق قنوات للتخطيط والتكامل الاقتصادى والاستراتيجى فى سائر المتطلبات الحيوية ، قبل نفاذ النفط ، وتحول الأمة (العربية) إلى كانتونات عائمة على ألغام من الطائفية والعرقية ، والفقر والديون ، والفساد المالى والأخلاقى ؟؟ .

سقت هذه العبارات لتقديم صورة حقيقية للعرب ، والتى تؤكد أن العرب فى الأزمات الدولية أو حتى التى تخصهم ، لا يحققون أى اعتبار لهم ، وحسبنا ما حدث فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠م عدوان العراق على الكويت ، لا العرب ولا جامعتهم استطاعوا أن يفعلوا شيئا ـ أي شئ حتى أنقذت الموقف واشنطن لحسابها ، وجعلت العرب يقاتلون العرب تحت قيادتها ، وكانت واشنطن هى الرابحة فى النهاية ، قواعدها العسكرية فى الخليج يدفع العرب تكاليفها الباهظة ، ولك أن تتصور أن نقل قاعدة عسكرية صغيرة من المنطقة الشرقية بالسعودية إلى منطقة الخفجى تتكلف مائتى مليون دولار .

والدول الإسلامية ليست أحسن أوضاعا من الدول العربية ، وفى أزمة الثلاثاء المشئوم نجحت واشنطن فى إدانة العرب والمسلمين ، وبدلا من أن يتصدوا لهذا الاتهام الظالم ، ويرفضوا أن يكونوا لواشنطن أعوانا فى إصرارها على تدمير دولة مسلمة ـ أفغانستان ـ بمقولة واهمة أسموها «الإرهاب» بدلا من ذلك ، سارعوا بالتأييد المطلق لواشنطن ، وانتهزت الأنظمة الجائرة الشمولية فى تصفية حساباتها مع معارضيها السياسيين وبخاصة الإسلاميون الذين يمارسون نشاطهم في غير ديارهم .

السودان أعلن استعداده لمعاونة أمريكا فى الحصول على بن لادن وقاعدته ، والجزائر قدمت كشوفا بأسماء زعمت أن لأصحابها صلة بـ بن لادن ، والرئيس الباكستانى مشرف الذى اغتصب السلطة ، جعل باكستان فى خدمة العدوان الأمريكى على أفغانستان ، ووضع كبار علماء الدين فى السجون لمعارضتهم بلطجة أمريكا ، بينما سمحت للمخابرات المركزية الأمريكية أن تنتشر بين ربوع باكستان ، بل وحماية مشرف إذا لزم الأمر .

دعا أمير كويتى إلى الوقوف إلى جانب أمريكا التى دافعت عنا ردا لجميلها ، ونقول للأمير الهمام : « أى قيمة لدولة تحتمى بغيرها ، وهذا الغير لا يحميها لوجه الله ، لأنه يحمى مصالحه هو ؟ وفى ظل هذه الحماية تحمون أنتم مصالحكم وثرواتكم .

إن الكويت بعد أحداث الثلاثاء المشئوم ، بأمر من أمريكا أخذت فى تضييق الخناق على المؤسسات الخيرية العريقة ، لأن أمريكا تعتبرها بلا استثناء مصادر تمويل للإرهاب ، بل ذهبت إلى أبعد من هذا ، حين جردت عالما كويتيا وأستاذا للشريعة الإسلامية من جنسيته ، متعللة بأن هذا العالم ينتمى إلى القاعدة التى أنشأها بن لادن .. ومثل هذا القرار الهمايونى لا يستند إلا إلى قانون الغابة ، لأن جنسية المرء حق طبيعى مكتسب له أن يتنازل عنه ، ولكن ليس لقوة أن تحرمه منه .

فى عدد « المشاهد السياسى » اللندنية الصادر فى الرابع من نوفمبر الماضى ، مقال مثير يقول المحرر :

فى الثامن من أكتوبر الماضى صرح وزير كويتى : أن سليمان أبو غيث الناطق باسم تنظيم القاعدة الذى دعا إلى الجهاد ضد الولايات المتحدة ، كويتى تلاحقه سلطات بلاده ، حيث كان يعمل أستاذا للشريعة الإسلامية ،

وقال وزير الخارجية الكويتى الشيخ صباح الأحمد الصباح للصحافيين :

« إن ما فعله ـ أى سليمان أبو غيث ـ ليس فقط خيانة بل جريمة ضد بلاده»

ونقول : أجل : خائن ومجرم فى حق بلاده ، لأنه صرح فى الشريط الذى بثته قناة الجزيرة الفضائية بقوله :

« إن ما حدث فى أمريكا ـ الثلاثاء ـ ١١ سبتمبر ـ يعتبر حدثا طبيعيا وأمرا واقعيا ، نتيجة لتلك السياسة الحمقاء التى تمارسها أمريكا فى الخارج ، والتى تتمثل بالعداء الواضح للإسلام والمسلمين ، وتتمثل أيضاً فى التدخل المباشر لسياسات الدول العربية والإسلامية » .

كما أكد أن واشنطن تضرب الحصار على المسلمين ، وتعلن العداء عليهم ، وفى نفس الوقت تجاهر بمساندتها اللا محدودة للكيان الصهيونى الذى فعل بالمسلمين الأفاعيل فقتل ونهب وفتك وشرد .

الرجل لم يقل إلا جزءا من الحقيقة والواقع ، والحق مع وزير الخارجية الكويتية فى اتهامه بالخيانة وارتكاب الجريمة ، لأنه يدافع عن كرامة دينه وأرضه ، أما من رضوا لأنفسهم أن يكونوا تابعين أذلاء للقوى المعادية للإسلام ، فرطوا فى أرضهم ومن فرط فى أرضه فقد فرط فى عرضه .. فهؤلاء ليسوا خونة ومن حقهم أن يصدروا العمالة والخيانة إلى المواطنين الشرفاء .

إن أى معارضة لوجود النفوذ الغربى ، ووجود قواعد عسكرية هو مثال للوطنية الصادقة ، وإن أى نظام يقبل ـ عن رضى ومن أجل الحفاظ على كرسيه وأبهته ـ قبول هذه الوصاية من قوى معادية للإسلام هو نظام تدمغه الخيانة والعمالة .

ولدينا كتاب الله ينطق بالحق :

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾

سورة النساء (١٣٨ ـ ١٣٨)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

سورة النساء (١٤٤ ـ ١٤٥)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾

سورة المائدة (٥١ - ٥٢) صدق الله العظيم

ولنعد إلى تحقيق « المشاهد السياسى » اللندنية :

تبدو السياسات العربية حيال القضايا والمحاور الأساسية التى تواجهها المنطقة ، وكأنها تدور على نفسها ، وتراوح مكانها فى ما يشبه الحلقات المفرغة ، ومنذ فترة لا يستهان بها ، باتت السمة الرئيسية التى تميز هذه السياسات : اتفاقها الظاهرى على المواقف والمبادئ العامة ، ورفعها المعلن للشعارات والأهداف المشتركة ، وافتقارها الكامل .. فى المقابل - للتوجهات والمقاربات الفعلية التى من شأنها أن تحول ذلك الاتفاق على المبادئ والشعارات إلى استراتيجيات عملية مشتركة ، قادرة على تحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها .

ويضيف المحرر مؤكدا :

أن ثمة غيابا استراتيجيا عربيا شاملا فى مواجهة الأخطار والتحديات والتهديدات القائمة والمحتملة ، وحيث تواجه المنطقة برمتها حقبة عسيرة من التحويلات فإن الغياب الاستراتيجى العربى ، يتحول بدوره إلى مصدر تهديد حقيقى ينذر بعواقب وخيمة ونتائج كارثية على دول المنطقة ومجتمعاتها ! .

إن ما ذكره المحرر يؤكده موقف العرب من أحداث الثلاثاء الأسود ، لقد بادرت حكوماتهم بالتأييد المطلق لواشنطن ، لأنها أهون من أن لا تفعل ذلك ، وهى تدين بالولاء الأعمى للكاوبوى الأمريكى .

وما هو أدهى وأمر ، أن بعض المسئولين العرب آزر البلطجة الأمريكية فى أكاذيبها وادعاءاتها ، إلى درجة التدنى والإذلال - فالإعلام الغربى وبخاصة الأمريكى يزعم أن الزكاة ليست إلا مصدرا أساسيا لتمويل الإرهاب ، ولا لوم على إعلامهم الذى يتخبط تخبط السفيه والمعتوه .

لكن حين يؤكد وزير خليجى أكاذيب واشنطن التى تفترى على الله كذبا ، وتزعم أن الزكاة مصدر أساسى من مصادر الإرهاب ، فإنها لمأساة ،

وحسبنا أن نقول لهذا الوزير الخليجي : إنك وصمة عار على نفسك وعلى من جعلك وزيرا ، وما صرحت به لوكالة الأنباء الفرنسية ـ ونشرته «المشاهد السياسي» في الخامس والعشرين من نوفمبر الماضي ـ مؤكدا : « أن الحركات الإسلامية المتطرفة في مختلف أنحاء العالم . وعلى رأسها الشبكات المرتبطة بـ « الإرهابي أسامة بن لادن » تمول في كثير من الأحوال عن طريق تحصيل أموال الزكاة . وهي عملية تكمن خطورتها في أن هدفها الظاهر نبيل .. وبالتالي لم تكن تثير الشبهات .

لو كنت رجلا أيها المسئول العربي لما طلبت من الوكالة عدم ذكر اسمك ، وكفى .

ولم يقف هذيان هذا المسئول العربي عند هذا الحد ، بل أضاف : إن المدارس التي أنشأتها السعودية في باكستان هي التي تخرج منها عناصر طالبان ، والإسلاميون الباكستانيون المتطرفون .

وبناء على هذا الهذيات فإن المسئول العربي أو الوزير الخليجي الجبان ، قدم لواشنطن ورقة رابحة تبرر لها إغلاق ثلاثة آلاف مدرسة في باكستان ثم الضغط على الدول الإسلامية لإلغاء الركن الثالث ـ الزكاة ـ من أركان الإسلام الخمسة ، ولواشنطن سوابق ولواحق في التدخل في شئون العديد من الدول الإسلامية والعربية لإلغاء عقوبة الإعدام ، وتعديل مناهج التعليم الديني ، حتى لا تتضمن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعرض لليهودية والمسيحية ، وقد خضع الملك حسين الراحل في إذلال لهذه الضغوط .

ويبدو أن الوريث للملك الراحل الذي بادر برغبته في إرسال قوة عسكرية إلى أفغانستان متطوعا أراد إثبات ولائه الأعمى لواشنطن .. في العدد السابق من « المشاهد السياسي » أن الرئيس الأمريكي بوش انهم مجموعة البركة بالإسهام في تمويل القاعدة التابعة لأسامة بن لادن ، كما ذكر مجموعة مالية أخرى مؤسسة ندى « التقوى » سابقا .

وأضاف الخبر :

« وكان الأردن قد اتهم فرعا لمجموعة « التقوى » في جزر « الباهاما »

بالإسهام في تمويل شبكة تابعة لـ بن لادن ، ألقت السلطات الأردنية القبض عليها عام ١٩٩٩م ، واتهم أعضاؤها بالتخطيط للقيام بعمليات

إرهابية فى مواقع سياحية يزورها سياح غربيون ، بمناسبة احتفالات بدء الألفية الثالثة :

ونقول : لا غرابة أن تسلك الأردن مثل هذا السلوك ، فقد ولدت على يد الإنجليز ؛ لتظل دائما عميلا وفيا لهم ، وكان أول مؤسس للأردن أول من خان قضية فلسطين ولقى مصرعه على يد فلسطينى عام ١٩٥١م .

فى عدد « المشاهد السياسى » السابق كتب من نيويورك ؛ ميشال لوكليرك يتساءل :

هل يحق لأمريكا أن تخاف على أمنها أم لا ؟

وهلى يحق لها أن تدافع عن تفوقها أم لا ؟؟

يرى الكاتب أن هناك نماذج وصورا عديدة للطرق التى يدافع بها زعماء وقادة فى أغلب دول العالم عن كراسى احكم ، فكيف لا تحارب الولايات المتحدة بكل ما لديها من أسلحة للدفاع عن عرش أعظم وأقوى وأكثر امبراطورية تقدما فى تاريخ البشرية ؟

هذه هى الحقيقة شئنا أو أبينا ! .

أما عبارة الكاتب المؤثرة . فتقول :

قادة العالم التقوا فى نيويورك : الأمم المتحدة : زعماء ورؤساء لكن فى دولهم فقط !! .

والعبرة هنا أن الرئيس الأمريكى بوش لا يدافع عن تاجه ، وإنما يدافع عن عرش أمريكا ، لأن الدستور الأمريكى لا يسمح لرئيس إلا بفترتين ، فى سنوات ثمان ، بينما فى عالمنا الثالث فالحاكم يتشبث بالخلود لذا يدافع عن تاجه هو وليس عن عرش الدولة ، وفى كل الأحوال فى ديار العرب والمسلمين ، فى القرون الأخيرة من يزعم بأن للشعب دورا فى اختياره حاكما ، وما يسمى بـ الانتخاب أو الاستفتاء مجرد مهزلة ، فالحكم إما وراثى عتيق أو جمهورى صورى ، وظهر لون ثالث : جمهورى وراثى على يد حافظ الأسد فى سوريا ، وفى انتظار تحقيقه فى بغداد على يد صدام وفى كل الأحوال والظروف ، فالدولة فى نظر الأباطرة ملكية خاصة .

ومعذرة إذا اضطررنا إلى نبش مشاعر حزينة كامنة فى شعوب مغلوبة

على أمرها ، لا تملك مجرد التعبير عن هذه المشاعر الحزينة ولو همسا ، وحسبنا مثالان معاصران :

● ديكتاتور سوريا الراحل حافظ الأسد هزم هزيمة منكرة فى عام ١٩٦٧م واحتل اليهود الجولان حتى رحل ، ولا يزال الجولان محتلا ، وقد منحه إعلامه لقب « بطل الصمود » ويوم العاشر من رمضان نجحت مصر فى استرداد أرضها ولقنت إسرائيل درسا لم تنسه ولا ولن تنساه ، بينما فشل بطل العروبة فى استرداد الجولان ، وصدق ما قاله السادات فى بعض خطبه ، إن حافظ الأسد باع الجولان لواشنطن من أجل عيون إسرائيل بخمسمائة مليون دولار .

وبرغم ذلك : يوم رحيله ، قالت وسائل الإعلام لبعض الدول العربية إن خسارة الأمة العربية فى رحيله خسارة فادحة لن تعوض .

ونتساءل فى أسى مرير :

أي شعب هذا الذى يسمح لرئيس مهزوم عايش هزيمته ثلث قرن من الزمان ، ويمنحه ٩٩ ٪ من أصواته فى كل استفتاء ؟

● وطاغية العراق ، ترك إسرائيل تعربد فى المنطقة ، ليحارب إيران الدولة المسلمة ثمانية أعوام حسوما ، وقبل أن يلتقط بقية أنفاسه أرسل جيشه لاغتيال دولة عربية مجاورة ، ومنى شر هزيمة ولا يزال الشعب العراقى يدفع ثمن جنونه ، وكان سببا فى أن تغرس واشنطن قواعد عسكرية فى الخليج يدفع الشعب العربى تكاليفها الباهظة من عرقه عن يد وهو من الصاغرين .

ونتساءل فى أسى مرير أيضا :

أي شعب هذا الذى يسمح لطاغية أن يستبد به ، ويمعن فى إذلاله ، ويفرض عليه أن يهتف له ويصفق ؟

يبدو أننا معاشر الكتاب خياليون أكثر من اللازم ، تصورنا أن يكون للأمة العربية والإسلامية إزاء أحداث الثلاثاء الأسود موقف تحسد عليه .. ترفض اتهام واشنطن المبكر ، والاعتداء المبيت على أفغانستان الدولة المسلمة .

تصورنا هذا ، ونسينا أن الأمة المسلمة عربها وعجمها : شعوب مكبلة

بالحديد استرخت لقيودها ، وألغت كل تفكير فى تحطيم هذه القيود ، وأنظمة شمولية استبدادية ـ هى مصدر الإرهاب ـ مغرقة فى التبعية لواشنطن ، ليس لديها أدنى تفكير فى التحرر من هذه التبعيه ، لسببين .

أولاً : لاعتقادها أن واشنطن قادرة . بمخابراتها على حمايتها من أية محاولة للانقلاب العسكرى أو حتى السياسى ، وأن واشنطن بمخابراتها قادرة أيضاً على إحداث أى انقلاب عسكرى أو سياسى ضد أى نظام يخرج ولو قيد أنملة عن طاعتها .

ثانياً : أن الأموال الطائلة التى نهبتها النخبة الحاكمة ، وتقدر بمئات المليارات من الدولارات ، وقامت بتهريبها ، معظمها فى أحشاء المصارف الأمريكية .

ولك أن تتصور هذه المأساة التى أشار إليها الكاتب الأستاذ مؤمن أحمد فى تحقيق له « الأسبوع » القاهرية فى الأول من أكتوبر الماضى ، ومما قاله الكاتب :

« ومن البدهى أن أموال العرب فى البنوك الأمريكية والأوروبية ستستخدم فى تمويل الحرب التى أعلنها الغرب بقيدة أمريكا أمريكا ضد العرب والمسلمين ـ فضلا عن استخدام هذه الأموال فى خدمة اللوبى الصهيونى فى أمريكا ، وربما تدخل أيضا فى تصنيع السلاح الذى يوجه إلى الصدور العربية ، ويغتال به أطفال فلسطين .

ويعلم الله وحده ـ أن أعصابى قد أصابها من التوتر ما أصابها ، والكاتب يشير إلى أن الاستثمارات العربية ـ على مختلف أنواعها ـ قد نالها ما نالها من الضرر الجسيم ، وقدر محللون اقتصاديون حجم الخسائر بما يتراوح بين ٦ و ١٥ ٪ من إجمالى حجم هذه الاستثمارات ـ أى ما يتراوح عمليا بين ٥٤ مليارا و ١٣٥ مليار دولار ، أى أن المال العربى ـ الذى لم يصبح عربيا ـ خسر بين عشية وضحاها ، ما يقارب حجم المديونية العربية الذى يبلغ ١٦٠ مليار دولار ، ولو طلب من أصحاب هذه الأموال ـ كما يذكر الكاتب المشاركة فى سداد هذه الديون ، لشنوا على بلادهم حملات شعواء ! .

ويذكر التحقيق :

وبلغت خسائر الاستثمارات السعودية الخارجية ٢٨ مليار دولار من

إجمالى الاستثمارات التى تقدر بنحو ٣٠٠ مليار دولار هى جملة الاستثمارات الرسمية والخاصة السعودية الخارجية . وقال سعيد الشيخ كبير اقتصادى البنك التجارى السعودى : إن شركات التأمين تكبدت أكبر الخسائر .

الكويت بلغت استثماراتها ١٥٠ مليار دولار ، وبلغت خسائرها ٦٪ وتوقع الخبير الاقتصادى الكويتى مصباح بوحذور أن تزيد نسبة الخسائر المتوقعة على نسبة الـ ٦٪ بالنسبة للودائع الحكومية والخاصة بالأفراد .

وما قاله المقال مثير للأسى :

إن العرب المستثمرين الذين منوا بالخسائر الفادحة اتفقوا على شئ واحد : على عدم الانسحاب من السوق الأمريكية مهما بلغت الخسائر ، بل إن بعضهم تجاوز ذلك إلى ضخ أموال جديدة لمساعدة الاقتصاد الأمريكى على تجاوز الأزمة :

وعن الملياردير السعودى الشاب الوليد بن طلال أشار المقال :

أن استثماراته فى الخارج ٢٠ مليار دولار ، ونسبة ما يستثمر فى أمريكا ٦٠ ٪ وقد بلغت خسائره ١,١ مليار دولار فى الولايات المتحدة فقط ، وكان أول تعليق له ردا على هذا ، هو رصد أربعة مليارات ريال سعودى نحو (١,٠٤ مليار دولار) لشراء أسهم فى الأسواق الأمريكية والأوربية رافضا أى تعليق على خسائره ، بل مطالبا رجال الأعمال والمستثمرين السعوديين بعدم بيع أسهمهم أو سحب استثماراتهم .

وردا على شهامة العرب المستثمرين ملياراتهم فى أمريكا ، أصدر الرئيس بوش أوامر سرية إلى المصارف بعدم السماح للمستثمرين العرب بسحب أرصدتهم حتى لا يهتز الاقتصاد الأمركى ! القرار يشمل الأفراد والحكومات .

وهكذا : « آلت النفس الخبيثة أن لا تغادر هذه الدنيا ، حتى تسيئ إلى من أحسن إليها » كما جاء فى الأثر ـ أو كما تقول الحكمة : « اتق شر من أحسنت إليه » .

وفى نبرات حزينة ، يختم الكاتب مقاله بقوله :

« ويبقى التساؤل الكبير قائما :

هل يحق لنا القول : إن الاستثمارات العربية لدى أوروبا وأمريكا لم تعد عربية ، ولم يعد للعرب منها سوى الربح اليسير ، الذى يدخل معظمة ـ مرة أخرى ـ فى طاحونة الاقتصاد الأمريكى والأوربى ، ليرتد إلى« صدورنا رصاصا وقنابل وصواريخ باليورانيوم المنضب ؟

وهل يحق للبعض أن يتباكى على خسائر الاستثمارات العربية فى الخارج ؟ ! أعتقد أن المسألة خرجت من يد العرب إلى غير رجعة ! .

ونضيف نحن :

إن الملياردير السعودى الشاب الوليدبن طلاح ، أعلن عن تبرعه بعشرة ملايين دولار لمأساة نيويورك . لكن عمدة نيويورك رفض شهامة المستثمر العربى الملياردير ورأى فيها إهانة موجهة للشعب الأمريكى .

وليس من حقنا أن نتساءل :

بكم تبرع الملياردير لشعب فلسطين الذى تعلن عليه إسرائيل حرب إبادة شاملة بتأييد وأسلحة أمريكية ؟ ؟

إذا قلنا : أنظمة من ورق فإننا نسئ إلى الورق ، وحين نقول : شعوب حثالة » فإننا ننقص للحثاله قدرها .

ولكن ليست القاعدة على إطلاقها بالنسبة للشعوب ، فقد ورد فى الصحيح قوله ـ صوات الله وسلامه عليه : « **لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله** » .

إن أحداث الثلاثاء الأسود فى نيويورك وواشنطن قد أفرخت عن أنظمة مغرقة فى الدنية والانهزامية ، هذه الأنظمة استبدادية تعتمد على عصبية أو عصابة ، إن اطمئنانها إلى حماية واشنطن ، جعلها تتحدى الله والإسلام ومشاعر المسلمين .

هذه الأنظمة المتهالكة ـ على أثر الأحداث بدأت تضيق الخناق ، وتشدد فى الحصار على الجماعات والحركات والمؤسسات الإسلامية تزلفا إلى واشنطن وحفاظا على عروشها ، وليس مما يؤسف له ، أن فى طليعة الأنظمة ، التى بادرت عقب الأحداث استعدادها لأن تكون طابورا خامسا على شعوبها لحساب واشنطن : السودان ، الجزائر ، باكستان ، الأردن ثم الكويت ! .

فى « المشاهد السياسى » اللندنية العدد الصادر فى الثانى من ديسمبر الماضى . مقال كتبته راندا حبيب من عمان ـ الأردن ـ يقول :

ـ فى طليعة الدول التى تقدم معلومات استخبارية : الأردن .

ـ المخابرات « الأردنية » أحبطت عدة خطط لتنظيم القاعدة .

هناك ـ كما تذكر الكاتبة ـ اتفاق الآن على أنه ـ وبفضل وجود جهاز مخابرات متطور ، يعد أحد أبرز وأكفأ الأجهزة فى المنطقة ـ نجح الأردن مؤخرا فى إحباط العديد من الاعتداءات داخل المملكة وخارجها خطط لها تنظيم القاعدة ، التابع لأسامة بن لادن ـ المتهم الأول بالتورط فى اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر ضد الولايات المتحدة .

وأشار أحد الخبراء فى تصريح لـ فرانس برس ـ إلى أن نجاح أجهزة المخابرات تمكن فى إحباط العديد من العمليات ـ قبل أن تقع ، ويضيف : لو كان العالم أنصت للأردن عندما حذر من بن لادن ، لما كنا وصلنا إلى ما وصلنا إليه .

وفى المقال على ألسنة الخبراء الأردنيين : « أن المخابرات الأردنية تجاوزت حدود الأردن .. إلى المنطقة العربية بل وأوروبا ، فى تعقبها للإرهابيين الذين يخططون للاعتداءات ضد المصالح الأمريكية والأوربية ، ولم ينس الخبراء الإشارة إلى اعتبار حركة حماس ومنظمة فتح فى قائمة الإرهاب .. كما أشار بعض المسئولين إلى عشرات المخططات الإرهابية التى أحبطها جهاز المخابرات الأردنى ، مما يجعله متفوقا على جهاز المخابرات المركزية الأمريكية .

ولم يفت العاهل الأردنى ـ عبد الله الثانى ـ أن يظهر فى الصورة ، ففى مقابلة خاصة مع فرانس برس فى ٢٨ نوفمبر الماضى . أكد أنه مع مرور الوقت سيكون بمقدورنا الكشف عن مزيد من المعلومات ، وسيفاجأون عندما يعلمون ماذا فعل جهاز المخابرات الأردنى من أجل منع وقوع هجمات ضد الأمريكيين والأوروبيين وداخل أوروبا » .

قالت الكاتبة فى مقدمة مقالها :

« إلى جانب إشادة الولايات المتحدة ـ بالأردن ـ أكد خبراء أن تكثيف جهود مكافحة الإرهاب على الصعيد الدولى منذ هجمات ١١ سبتمبر ـ

أدى إلى بروز دور الأردن باعتباره فى مقدمة الدول التى تقدم معلومات استخبارية ثمينة حول الشبكات الأرهابية بسبب خبرة المملكة الطويلة فى هذا المجال .

ونضيف نحن : « إن مخابرات الأردن لا تعمل من أجل عيون أمريكا وحسب بل كذلك من اجل عيون تل أبيب .. وأن مخابرات الأردن شأنها شأن المخابرات فى سائر دول العالم الثالث ـ بارعة فى تأليف المؤامرات ، ضليعة فى تلفيق الاتهامات ، مما لا يكلفها جهدا فى استعراض عضلاتها .

والشئ بالشئ يذكر :

فى محاكمة صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية عقب هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ م متهما فى مؤامرة ضد عبدالناصر ـ قال الرئيس المحكمة العسكرية حسين الشافعى :

أتعلمنى سيادتكم أصول التحقيق ، وأنا الذى قمت بالتحقيق فى مؤامرات بعدد شعر رأسى » .

ولسنا فى حاجة إلى التعليق ! .

وحتى أنت يا كويت !

تصرين على أن تركبى الموجة مع سواك لإظهار الولاء الأعمى لواشنطن على حساب عروبتك وإسلامك : ألم يكفك ! أنك سمحت طائعة بأرضك لتكون قاعدة عسكرية أمريكية ، لا من أجل حمايتك بل من أجل حماية مصالحها ، وتهديدا للمنطقة بأسرها من أجل عيون ربيبتها التى ولدت من سفاح ؟

أنسيت دولة الكويت أن ما حدث لها فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠م كان من قبيل : من أعان ظالما سلطه الله عليه » ؟

معذرة لأنى أنا قد نسيت هذا ، وقد بادرت بتأليف كتاب بعنوان : « هولاكو القرن العشرين .. وبين الهولاكين نسب وصهر » .

واضح أن الكويت لم تع الدرس ، وأنساها الثراء ذكر الله ـ عز وجل ، ولم تعد الأسرة الحاكمة وحدها متواطئة مع واشنطن ، بل أعانت على وجود أفراد ليبراليين يظهرون ولاء ذليلا أعمى لواشنطن .

لقد أخذ نواب ليبراليون ـ كما تقول « المشاهد السياسى » العدد السابق فى مطلع نوفمبر ـ على الحكومة دعمها الهزيل للولايات المتحدة بعد الاعتداءات ، وفى المقال أن الحكومة لن تسمح بأى جمعية أهدافها سياسة أو دينية .. ومما هو جدير بالذكر ـ أن الكويت تضم عددا كبيرا من الجميعات الإسلامية منها : جمعينا إحياء التراث الاسلامى والإصلاح الاجتماعى .

وفى المقال : أن الجماعات الإسلامية فى الكويت اشتكت من أن الحكومة اعتقلت الكثير من أفرادها بدون وجه حق ، وبدون مبرر ، وهو أمر التزمت الدولة إزاءه الصمت ونفت بعضه ، غير أن الكويتيين يعرفون أن قرارات أمريكا أوامر بالنسبة إلى دولة صغيرة مثل الكويت تعتبر نفسها ولاية أمريكية بعد أن اعتقتها واشنطن من مطالب العراق . غير أن موقف الشارع العربى قد تغير كثيرا بعد الأحداث الأخيرة ، ويبدى ليبراليون كوايتيون صدمتهم للمشاعر المعادية للأمريكيين لدى بعض مواطنيهم .

لكن هؤلاء الليبراليين الكويتيين يعتبرون أنها لا تعكس الرأى العام الذى لا يزال يكن الامتنان للولايات المتحدة لمساعدتها هذا البلد على التخلص من الاحتلال العراقى .

ونقول نحن : مساكين هؤلاء الليبراليون العرب .

يقول أحمد بشارة ـ أمين عام الحركة الوطنية الديمقراطية ـ ليبرالية :

« إنه تم إضفاء صورة سيئة على الكويت » وأضاف فى حديثه لوكالة فرانس برس . للأسف : فإن السوء قد حصل ، وعلى الكويت أن تطلق حملة واسعة النطاق فى محاولة لاستعادة حليفها ـ الأمريكى ـ مجددا .

ونقول نحن :

ليس بمستغرب على ليبرالى أن يستعدى السلطة ، على من يخلصون لدينهم وعروبتهم ولا يفرطون فى الولاء لهما .

في البرنامج الذى عرضته شبكة (سى . بى . اس) الأمريكية ، قام خلاله كويتيون أحرار ومنهم نواب إسلاميون وطلاب بمهاجمة السياسة الخارجية الأمريكية والضربات الأمريكية ضد أفغانستان ، قاموا بمهاجمة

شديدة ، وقال أحد الطلاب لمقدم البرنامج : « لا يمكنكم أن تطلبوا منا أن ندعمكم فى ما تقوم به الولايات المتحدة ، فى أفغانستان ، لأنكم قدمتم لنا المساعدة فى حرب الخليج عام ١٩٩١ م .

إن الليبراليين العملاء لواشنطن المعادية للعروبة والإسلام ـ ذوو منطق فاسد ، لأنهم يتوهمون حين يصرحون بأن الآراء المعارضة لواشنطن ، لا تعكس بدقة مشاعر غالبية الكويتيين » .

ونحن نصدقهم إذا كانوا يعنون بغالبية الكويتيين : قلتهم الضئيلة والأسرة الحاكمة .

وهؤلاء الليبراليون مدركون تماما أن واشنطن وراء كل الأحداث في المنطقة وبخاصة حرب الخليج الأولى والثانية ، وقد حققت أهدافها : السيطرة ورعاية المصالح ، وغرس القواعد العسكرية ليدفع الشعب لمسلم تكاليفها الباهظة ، وليست أنظمة الحكم التى تتنافس فى نهب أموال الشعوب لإيداعها مصارف اليهود فى أمريكا وأوروبا ، وبعد أن استقر بأمريكا المقام فى المنطقة العربية يترحيب من شيوخها ، اتجهت إلى منطقة إسلامية أخرى ثرية بالنفط ، واتخذت من الإرهاب المزعوم علة تتعلل بها لغرس قواعد جديدة فى أفغانستان ، تهدد إيران ، وتراقب عن كثب السلاح النووى فى باكستان ، ولو لم تحدث أحداث الثلاثاء المشئوم لاصطنعت تعلة أخرى لتحقيق هدفها وتدمير أفغانستان .

والأنظمة التى تتعاطف مع واشنطن فضلا أن تتعاون معها ماديا وسياسيا وأعلاميا ، هى أنظمة موغلة بالخيانة والعمالة معا ، ولقد فقدت مروءتها وتبلدت مشاعرها إزاء ما حدث فى فلسطين فى الأسبوع الأول من ديسمبر الماضى ، وقد شنت إسرائيل على أهل فلسطين إبادة شاملة قتلت الأطفال فى مدارسهم ، والمرضى فى دور العلاج ، واستهدفت مقر المنظمة ودمرت طائرات ، وأمريكا توجه اللوم إلى الضحايا ، وشارون ينذر عرفات أعطاه فرصة أيام معدودة لاعتقال أفراد حركة حماس والجهاد ومنظمة فتح ، ولالوم على الرأى العام العالمى ولا هيئة الأمم فى التزام الصمت المطبق ، مادام العرب والمسلمون مشغولين بمؤازرة واشنطن ، وتنكروا لفلسطين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ، وحسبهم أن إذاعاتهم لاتمل ترداد : أمجاد يا عرب أمجاد !!

أصيب الرئيس بوش بالذهول من الحقد الذى يكنه العالم الإسلامى ، وزعم فى تصريحه : لدينا تاريخ رائع يمكن أن نرويه للآخرين فلنقلها بصوت عال .

هذا ما جاء فى مقال كتبه من واشنطن ليون برنو ـ للمشاهد السياسى اللندنية ، نشر فى الثانى من ديسمبر الماضى ، أشار الكاتب إلى أن هناك شريطا طويلا من الأحداث المتبقية فى المشاهد الجديدة التى تعمل الولايات المتحدة لإنتاجها فى الشرق الأوسط والأقصى والأدنى . البعض يرى أن مثل هذه الأحداث ضرورية لتأصيل هيمنة واشنطن على العالم لأطول فترة وأبعد مدى جغرافى .

ويرى الكاتب أن السلطات الأمريكية لاتتراجع أمام أى وسيلةفى حرب الصور والإعلام من أجل تلميع صورة الولايات المتحدة فى العالم الإسلامى مستعينة بأوساط هوليود ، ومستدعية اختصاصيين فى العلاقات العامة والتسويق ، وبعد السقوط فى الهفوات وزلات اللسان فى هذه الحرب الإعلامية التى أعقبت اعتداءات ١١ سبتمبر ـ لا تكف إدارة بوش ـ إدراكا منها لصعوبة المهمة ـ عن التأكيد مرارا وتكرارا بأنها تحارب الإرهاب ، وأن العمليات العسكرية ـ ضد أفغانستان ـ التى بدأتها فى السابع من أكتوبر لاتستهدف الإسلام والمسلمين ، غير أن العديد من المسئولين والمراقبين يعتبرون أن الرسالة تلقى فى بعض الأحيان صعوبة فى إيجاد آذان مصغية . . خلال مداخلة لجون ليسلى رئيس مجلس إدارة شركة ويبرشاندويك التى عرف عنها بأنها أهم شركة إعلانات عامة فى العالم ـ قال خلال مداخلة له أمام الكونجرس :

« ليس من الواقعى كثيرا ، وقد يكون من غير المثمر أن نوحى بأنه فى إمكاننا تسويق قيم أمريكية فى الشارع العربى على المدى القريب » .

هذا ولقد لجأ البيت الأبيض إلى هوليوود يستعين بإنتاجها السينمائى والتلفازى من أفلام ومسلسلات ، كما قامت واشنطن ولندن بفتح جبهة جديدة فى نهاية أكتوبر بإنشاء مراكز إعلامية فى كل من واشنطن ولندن وباكستان العميلة ، تعمل ليل ونهار .

ويقول الكاتب ليون برونو :

« لأول مرة قد تحتاج الولايات المتحدة إلى جهاز إعلامى عربى ، يعيد تلميع صورتها فى الشارعين : العربى والإسلامى » .ونقول نحن :

أولاً : إن الإسلام يا أبناء العم سام لايعرف الحقد ـ من منطلق قوله تعالى فى سورة المائدة : ٨

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾

ولكن الإسلام يعرف البغض لمن عادى الله والمسلمين ، شريطة أن لايحول البعض دون إقامة العدل .حين أبصر عمربن الخطاب ـ رضى الله عنه قاتل أخيه سعيد بن الخطاب ـ بعد أن أسلم ، قال له : اغرب عن وجهى ، فو الله إنى لإحبك » فقال له : أو يمنعنى ذلك حقا يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا.. قال الرجل : إذن فلا يأسى على الحب الإ النساء » .

أما قول الرئيس بوش : « لدينا تاريخ رائع يمكن أن نرويه للآخرين فلنقلها بصوت عال » فإن بوش يكذب ولايتجمل .

أى تاريخ رائع يقصد الرئيس بوش ؟ أهى العنصرية المتفشية فى الولايات المتحدة ، والتى ارتكبت من الجرائم فى حق الزنوج قناطير مقنطرة من البربرية والوحشية ؟

أم هو إلقاء القنبلتايين الذريتيين على هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين فى عام ١٩٤٥ حيث بلغ عدد الضحايا من المدنيين الأبرياء زهاء المليونين عدا الجرحى والمشوهين وتدمير العمران ؟

والذى لاجدال فيه أن واشنطن تعتبر أن من الأولويات لمهماتها الأساسية مهمة تصفية الحركات الإسلامية فى شتى البقاع ، وهى مطمئنة إلى أن الأنظمة الحاكمة فى قبضة يدها ، ولن تواتيها أدنى شجاعة فى أن تتصدى لها ، ومما هو جدير بالذكر أن عبدالناصر فى عام ٩٥٤ ضرب جماعة الإخوان المسلمين » لحساب واشنطن ، وقد سمح لبعض الصحف الأمريكية أن تلتقط لنا ـ نحن المعتقلين ـ بالسجن الحربى كأسرى حرب لدولة منهزمة يحيط بنا جنود فرعون شاهرين سياطهم لارهابنا .

ولم يكن مثيرا للدهشة أن تعتبر واشنطن حركة الإخوان فى قائمة الحركات الإرهابية ، كأنها تلفت أنظار المسئولين إلى زيادة الضغط على حركة مكبلة بالأصفاد ، تعد على أفرادها برغم تجميد نشاطهم أنفاسهم قبل حركاتهم وخطواتهم » .

ما حدث فى السودان أخيراً من تنحية الدكتور الترابى وحزبه الإسلامى عن الحياة السياسية كانت واشنطن وراءه بلاشك ، بعد أن وجدت فى الرئيس السودانى عمر البشير رغبة فى تقديم كل فروض الطاعة والولاء لها ، وأيقنت أن لديه استعدادا للمساومة حرصا على السلطان والمال معا .

فى عدد « الأسبوع » الصادر فى ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠١م مقال للأستاذ يوسف الشريف تحت عنوان : « السودان وبن لادن والإسلام » وفيه :

أن صحيفة « الإندبندنت » البريطانية ، كشفت الغطاء عن خسارة السودان ٩٠ مليون دولار ، كانت على وشك الإيداع فى خزانته ، وربما فى حساب الرئيس عمر البشير فى أحد المصارف أو كان لعدد من أعوانه جعل معلوم ، وفقا للحكمة الموروثة : « من حضر القسمة فليقتسم »* فضلا عن المثل الشعبى القائل : « طباخ السم بيدوقه » والحكاية أن أسامة بن لادن الذى استضافته السودان باعتباره البطل الإسلامى الذى أسهم بجهده وماله فى تحرير أفغانستان من الوجود العسكرى السوفييتى ، وأنفق الملايين فى العديد من مشاريع التنمية والبنية التحتية فى السودان ، كان غائبا عما يدبر له فى الخفاء ، حين عرض السودان تسليمه إلى أمريكا على غرار تسليم كارلوس - الإرهابى الدولى - المعروف إلى فرنسا ، ويا بخت من نفع واستنفع .

وتقول الصحيفة البريطانية :

« إن المخابرات الأمريكية طلبت من السودان إمهالها إلى حين دراسة العرض ثم رأت تسليم بن لادن إلى السعودية مسقط رأسه ، تجنبا لردودفعل جماعات التطرف الأصولى .. وعندما رفض السودان المساومة على تخفيض المبلغ المطلوب قررت المخابرات الأمريكية صرف النظر عن الصفقة . والمدهش هنا - أن تتقاعس الخرطوم عن رفع قضية ضد الصحيفة البريطانية ، أو تطالها بنشر تكذيب رسمى مكتوب - وهو أضعف الإيمان - فى الوقت الذى تباهى الفاتح عروة - سفير السودان فى واشنطن برواية الواقعة ، من دون ذكر المبلغ المطلوب - باعتباره الطرف الممثل لبلاده فى التفاوض مع الأمريكان .. علما بأن جناب السفير تبوأ منصبه الدبلوماسى الرفيع ، مكافأة له على إخلاصه وتفانيه فى التعاون مع المخابرات الأمريكية إبان حكم الرئيس جعفر نميرى »

ويقول الكاتب الأستاذ يوسف الشريف :

« وإذا كانت أمريكا - مشكورة - قد رفعت اسم السودان من قائمة الدول التى ترعى الإرهاب الدولى ، وإلغاء العقوبات المفروض عليه بالتالى ، فلأن السودان كان أول دولة - غير أوربية - تبادر إلى الانضمام - ضمنيا إلى التحالف الدولى لمحاربة الإرهاب تحت قيادة أمريكا ، عبر تقديم كل مالديها

* ليست حكمة موروثة ، ولكنها آية كريمة من سورة النساء : ٨

« وإذا حضر القسمة ألوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا »

من ملفات غاية فى الأهمية عن بن لادن وتنظيم القاعدة والمجاهدين لعرب العائدين من أفغانستان ، وغيرهم من جماعات التطرف الأصولى ، بل إن هذا التعاون سبق وقائع التفجير التى شهدتها واشنطن ونيويورك بنحو عام كامل ، عبر طاقم المخابرات الأمريكية الذى وصل السودان وباشر مهامه الأمنية سرا طوال هذه المدة .ونقول نحن :

ولعلنا لم نبالغ أو نتجنّ حين وصفنا الأنظمة بأنها من ورق ، والشعوب بأنها من خيوط العنكبوت ، وإن كان فى هذا الوصف إهانة للورق ، وإساءة إلى خيوط العنكبوت » .

ملحوظة : النميرى الخائن الذى يسر ليهود أثيوبيا الفلاشا الهجرة إلى إسرائيل عن طريق السودان مقابل رشوة سخية ـ وقيل : إن بعض الأنظمة العربية قام بدور الوساطة بضغوط أمريكية ، وبرغم ذلك عندما عاد إلى الخرطوم استقبلته الجماهير بالهتاف .

وعمر البشير الدكتاتور الحالى للسودان قام بدور العمالة والخيانة ، وبرغم ذلك حصل على نسبة عالية من الأصوات فى الأنتخابات الأخيرة .

وإذا أردنا أن نضع النقاط على الحروف قلنا : إن حاكمى السودان السابق والحالى : أى النميرى والبشير مجرد مثالين للعمالة والخيانة ، ولمعظم الزعامات فى ديار العروبة والإسلام .

●القذافى : البهلوان الذى هبط بليبيا إلى أدنى مستوى سياسى واقتصادى . وعلى مسار اثنين وثلاثين عاما حاول أن يفرض زعامة ولو هشة تسلط عليه ـ ولو قليلا من الأضواء ، تعصب للعروبة ثم كفر بها واتجه إلى أفريقيا وأسهم فى اشتعال حرب أهلية فى تشاد ، حاول أن يظهر بمظهر الأب الروحى لكل الثورات فى شتى بقاع العالم يمدها بمال الشعب الليبى المغلوب على أمره حتى بلغت أبوته السفيهة إيرنندة وفنزويلا والإكوادور والمكسيك فى أمريكا الجنوبية ، وبرغم ذلك فوسائل الإعلام العربية تخاطبه بـ قائد الثورة الليبية . . ويعتبر هو نفسه أمين الأمة العربية »

● وحافظ الأسد الذى هزم أشد هزيمة فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م وأضاع الجولان الذى لم يزل محتلا بأحفاد قتلة الأنبياء ، وسلالة القردة والخنازير ، ولم يستطع استرداد الجولان فى حرب العاشر من رمضان بينما استردت مصر سيناء ، ولم يكن متوقعا أن يسترد الجولان بعد أن قال عنه السادات فى إحدى خطبه : إن حافظ الأسد عقد صفقته مع أمريكا أن تدفع

له خمسائه مليون دولار مقابل تيسير احتلال الجولان لإسرئيل . .نجح حافظ الأسد فى احتلال لبنان ، وفى تدمير حماه وقتل بضعة عشر ألفا من أتباع الحركة الإسلامية ، وفى سجونه ومعتقلاته مئات المعتقلين من معارضيه ، مضى عليهم ثلاثة عقود . . وبرغم ذلك وصفته وسائل الإعلام بأنه بطل الصمود ، وقال عنه خطيب المسجد الأموى بدمشق منذ سنوات بأنه القائد البطل الذى قاد البلاد من نصر إلى نصر !

وعودا على بدء :

لنؤكد أن الداء القاتل ـ أو السرطان ـ الذى أصاب الأمة الإسلامية والأمة العربية ، إنما يكمن فى أنظمتهما ، وحرص هذه الأنظمة على كراسى الحكم ، وشهوة الزعامة لدى البعض على أساس من الوهم .

القذافى ـ قائد الثورة بلاثورة ـ بجهل مقدار حجمه ، كان مغرما بعبد الناصر ، وفى حوار بالتليفزيون القاهرى سئل عن إيديولوجيته فقال : الإسلام والناصرية ، ولم يقل : الإسلام ثم الناصرية ، حتى تكون الأولوية للإسلام ، بل قال الإسلام والناصرية للتسوية بينهما ، لأن الواو ـ كما يقول النجاة : لاتفيد ترتيبا ولاتعقيبا » .

وكان رحيل عبدالناصر فرصة للقذافى ليرث أستاذه فى شهوة الزعامة ، لم ترحب به الساحتان الإسلامية والعربية ، برغم ما بدد من أموال الشعب علي حملة المباخر من الإعلاميين ، فيمم وجهه شطر أفريقيا لعل وعسى . . إن قائد الثورة ـ بلا ثورة ـ أشعل الحرب الأهلية فى تشاد الدولة الإسلامية ، أملا فى السيطرة عليها لتكون منطلقا له إلى تحقيق الزعامة . . وكانت النتيجة تدمير المال والأرواح معا .

وعبدالناصر : كان يحلم بزعامة العرب . ، حول مصر إلى عزبة له وأخذ فى تبديد أموال الشعب من أجل تحقيق حلمه ، كانت مصر دائنة لبريطانيا بأكثر من ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى ، كما كانت مصر على بعد خطوات لكى تحصل على استقلالها من بريطانيا ، ورحل تاركا مصر مكبلة بالديون ، وأرضها فى سيناء محتلة بأخس خلق الله الذى قال عنهم الشاعر محمود غنيم :

إنى لأنقص للأنذال قد رهمو إن قلت : إن بنى صهيون أنذال

سعى إلى الوحدة مع سوريا حتي تكون هذه الوحدة منطلقا له إلى تحقيق حلمه فى زعامة العرب ، وأخذ بأسلوب الفتوة ليذرع الخوف فى الأنظمة

العربية عن طريق إعلامه ، متوهما بأنه بمثل هذا الأسلوب ستأتيه هذه الأنظمة خاضعة ، وبعد أقل من ثلاث سنوات فشلت الوحدة ، وخرجت مصر من سوريا مدحورة تجر خيب الرجاء فى عام ٩٦١ م .

وقام الانقلاب فى اليمن عام ٩٦٢م وسارعت مصر فأرسلت جيشا ليقاتل جنوده إخوه لهم فى العقيدة ، وسرعان ما تجاهل الزعيم ما قاله فى أول خطاب له بعد الانفصال عن سوريا :

« كان فى استطاعتى أن أرسل إلى سوريا من يؤدب الخونة الذين خططوا للإنفصال ، ولكنى : لن أسمح للعربى أن يقاتل أخاه العربى » .

وارتفع الهتاف ودوى التصفيق حتى بلغا عنان السماء !

وخرجت مصر من اليمن بعد هزيمة الخامس من يونيو عام ٩٦٧ ذليلة بعد أن خسرت ملايين الدولارات ومئات الأرواح .

وهولاكو القرن العشرين طاغية بغداد ، حاول أن يكون امبراطورا ،حارب إيران المسلمة ثمانية أعوام حسوم ، بأموال الشعب العراقى المسلم قاتل الشعب الإيرانى المسلم ، أكلت الحرب فى الطرفين الأخضر واليابس وقبل أن يلتقط الطاغية أنفاسه ، قرر غزو الكويت فى الثانى من أغسطس عام ٩٩٠م لتكون منطلقا له ولزعامته على الخليج ولفرض الإتاوة على منتجات البترول .

هؤلاء الأباطرة الثلاثة ـ كمثال : أماتوا شعوبهم ،وأخفتوا كل صوت أبدى استعدادا لكى يكون حرا ، ليتسنى لهم جميعا أن يعيثوا فى الأرض فسادا ، وليشمتوا أعداء العروبة والإسلام معا ، وليجعلوا العرب والمسلمين فى مرآة الرأى العالمى ليسوا أهلا للحضارة ، لأنهم لم يتحرروا بعد من عصور الجاهلية الأولى وما حدث فى أفغانستان كان كارثة الكوارث .

انتصر الشعب المسلم المجاهد على السوفييت ، وأخرج جيوشهم الجرارة مدحورة تجر أذيال الخيبة والعار.

ولكن الفرحة لم تتم ، وأصاب أرواح الشهداء القلق ، عندما استيقظت القبلية لدى طلاب شهوة السلطة ، وبرغم تدينهم المحافظ ، تجاهلوا قوله تعالى :

﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا .. وتذهب ريحكم ﴾

ولم يأبهوا بتحذير رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أمته فى حجة الوداع : « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وهكذا حولت شهوة السلطة أفغانستان الدولة المسلمة إلي ساحة جاهلية يهلل

فيها الشيطان لانتصاره .. وأصبح هناك فريقان يتنازعان السلطة : طالبان والتحالف الشمالى .. والفريقان ـ بلا جدال ـ شريكان فى الإثم ، يدور القتال بينهما ، وبالطبع ـ لامراعاة لضمير أو خلق أو عرف .

بل إن مأساة المآسى ، ماحدث بعد أن دمرت واشنطن الدولة ، وأزاحت سلطة طالبان عن الوجود ، حيث استغل التحالف الشمالى هذه الفرصة فتحول أتباعه إلى برابرة متوحشين يقتلون الأسرى ويحرقون الديار فى جبن وخسه ونذالة .

فى بيان لطلاب جامعة القاهرة لم تشر إليه الصحف المصرية ، وأشارت إليه « المشاهد السياسى » اللندنية فى ١٦ / ١٢ / ٢٠٠١م وعنوانه :

المذابح : تابعنا بألم وقلق وسخط الصور التى نقلتها الفضائيات العربية عن المجازر التى ارتكبتها قوات التحالف الشمالى بحق أسرى الحرب والسجناء الذى قاتلوا مع قوات حركة طالبان ، ثم انهاروا من جراء القصف الأمريكى المركز .. لقد ارتكبت قوات ما يسمى بـ التحالف الشمالى مجازر بإقدامها على ذبح مئات السجناء ، بعد تجريدهم من كل شئ ، وتقييد أيديهم إلى الخلف ، ومن ثم إطلاق النار عليهم ودوسهم بخنازير الدبابات ، فهل أراد من وقف وراء هذه الجرائم أن يثبت أن ليس وحده هذا العصر ؟ وإن بعض المسلمين الأفغان وغير الأفغان ـ سوف لن يترددوا عن فعل الأمر نفسه الذى فعله شارون بحق الفلسطينيين فى مخيمى صابرا وشاتيلا فى بيروت ؟

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :

هل ستوجه لمحكمه جرائم الحرب مثل هذه الاتهامات لمن قتل أو تسبب فى قتل الذين قضوا تحت أنفاس الحقد والكراهية والثأر وتحت وازع تحرير أفغانستان من طالبان والغرباء أو فى إطار الحملة العالمية ضد الإرهاب ؟

هل تستطيعون أن توجهوا مثل هذه السؤال بالنيابة عنا ، إلى من يهمه الأمر ؟؟

إننا نبالغ حين نطلق على عصابات تحكم ـ أعنى تتحكم ـ وكأنها فى غابة ـ لفظ أنظمة ، وهى نفس الوقت أسد على شعوبها ، ونعامة أمام واشنطن ولاتحس ، هذه العصابات ، بأن فى ركوعها لواشنطن إذلا لا لشعوبها ومهانة لأوطانها :

فى عدد « المشاهد السياسى » اللندنية الصادر فى الرابع من نوفمبر الماضى :

سلمت باكستان الولايات المتحدة بمنبا يشتبه بانتمائه إلى شبكة أسامة

بن لادن ، وبالمشاركة فى الهجوم الذى استهدف المدمرة الأمريكية (يو اس سى كولى) عام ٢٠٠٠م فى عدن حسب ما نقلته صحيفة « واشنطن بوست » عن مصادر حكومية باكستانية ، والمشتبه به يدعى جميل قاسم سعيد محمد (٢٧ عاما) وهو طالب فى علم الجراثيم فى باكستان - وسلمت - سرا - اليمنى إلى السلطات الأمريكية من دون اتباع الإجراءات الروتينية .. وقد اعتقلته السلطات الباكستانية فى إطار تحقيقاتها عن طلاب ينحدرون من بلدان عربية ، بعد اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر فى الولايات المتحدة .

وقد تمادى الديكتاتور الباكستانى مشرف فى الانصياع لواشنطن ففى أوائل يناير الماضى ، رفض منح سفير طالبان لدى باكستان اللجوء السياسى ، وسلمته مخابراته مكبلا فى أغلاله إلى المخابرات الأمريكية القابعة فى إسلام أباد ، وما كانت الشهامة متوقعة من حاكم مستبد اغتصب السلطة اغتصابا ، لم يشذ مشرف عن القاعدة : « قبول المذلة عن رضى وطيب خاطر .. فحكام العرب والمسلمين كلهم فى الهم شرق !

* * *

أجل :

وبلغ السيل الزبى :

لقد بلغ السيل الزبى .. والعرب يتجملون لفظا وليس معنى ، وقولا وليس عملا .. وشكلا وليس موضوعا ، هزلا وليس جدا .. إنهم يجتمعون ، ولايجمعون إلا على أمرين اثنين :

ألا يتفقوا .. وألا يعملوا ..

وإذا قدر لهم أن يجتمعوا أملا فى أن تسلط الأضواء عليهم ، انطبق عليهم المثل المشهور : « تمخض الجبل فولد فأرا » مع الاعتذار الشديد للفأر قبل أن يحتج ويرفع دعوى لدى محكمة العدل الدولية فى لاهاى مطالبا بتعويض سخى بسبب مالحقه من إهانة .

إسرائيل تعربد فى الأرض المحتلة تقتل وتمثل ، وتدمر ، وتعتقل وتأسر . فى شراهة ، ولم تكن نهاية عربدة إسرائيل تحديد إقامة رئيس السلطة الفلسطينية فى رام الله ، والحيلولة بينه وبين حضور اجتماع وزراء الخارجية العرب فى القاهرة فى العشرين من ديسمبر الماضى .. بينما الرئيس الفلسطينى يتمادى فى سخاء لانظير له - فى التنازلات المتسمة بالمذلة والهوان ، لدولة شرهة جشعة ، لاتشبع ولاترتوى من إذلال العرب ، وتقول : « هل من مزيد ؟ » ياسر عرفات يأمر بوقف الهجمات الفدائية

التى تدافع عن أرض العرب وكرامتهم ، وبغلق مكاتب حماس ، والجهاد ، ويعتقل العديد من أفرادهما .

بينما أمريكا « الصديق للعرب » تستعمل حق الفيتو فى مجلس الأمن ضد أى قرار ترفضه إسرائيل نجد بعض الأنظمة العربية يتعقبون الإسلاميين المعارضين لسياستها من أجل عيون واشنطن ليكونوا صيدا ثمينا لها ..

وإليك ماحدث فى اليمن فى الأسبوع الثالث من ديسمبر الماضى ، ذكرت وكالات الأنباء اعتراف واشنطن بممارسة ضغوط على صنعاء لمطاردة أنصار بن لادن ـ على حد زعمها . إذ قامت القوات المسلحة اليمنية على القبائل شرقى صنعاء ، وأنتجت الاشتباكات بين القوات المسلحة وأفراد تلك القبائل عن خمسة وعشرين قتيلا ومثلهم من الجرحى ، وقد استخدمت القوات اليمنية قذائف هاون على بعض القرى ، وذكرت بعض المصادر تدمير أربع سيارات عسكرية خلال المواجهات .

هذا وقد اعترفت الولايات المتحدة .. بممارسة ضغوط على اليمن لإجبارها على مهاجمة المناطق المشتبة فى وجود أعضاء من تنظيم القاعدة بها ر وأعلن بول وولفوتير مساعد وزير الدفاع الأمريكى ضرورة استمرار الحملة اليمنية ضد هذه الجماعات ، وأعرب عن قلق بلاده بسبب عدم سيطرة الحكومة على بعض المناطق الحدودية ، ورفض المتحدث باسم البيت الأبيض الكشف عن مشاركة أجهزة المخابرات الأمريكية فى الحملة اليمنية !!

الشرطة الفلسطينية تركع أمام قوات الاحتلال وفى نفس الوقت تجبر شعب فلسطين على أن يركع لها ، فقد شهد شهر ديسمبر الماضى اشتباكات تمخضت عن عشرات من القتلى والجرحى .. هذه الشرطة الفلسطينية أصبحت جناحا لوزارة الدفاع الإسرائيلية في مطاردة عناصر من حماس والجهاد ، وبرغم ذلك فإن تونى بلير رئيس الوزراء البريطانى وجه إنذارا إلى ياسر عرفات ، لكى يبذل جهدا أكبر للقضاء على الانتفاضة . أم يعلن اعترافه عن فشله ..

وبالطبع سوف يتصرف بلير كعميل لواشنطن .

اللهم لاشماتة : بريطانيا التى كانت « عظمى » ولاتغرب الشمس عن مستعمراتها ، نسيت تاريخها يوم كانت تستعمر أمريكا ، وخرجت منها مدحورة ، وتحولت إلى تابع ذليل مهين لواشنطن ..

والتاريخ لم ينس أن بريطانيا مسئولة مسئولية كاملة عن جريمة الوجود

الإسرائيلى ، وعما حدث ـ ومازال يحدث للبشرية من جرائم هذا الطاعون .. الدولة العبرية التى ولدت من سفاح . وكتب لها شهادة ميلاد مزورة وزير خارجية بريطانيا « بلفور »فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ م

وعودا على بدء :

لقد عربدت واشنطن ـ وحق لها أن تعربد ـ وكان لابد أن يزداد حجم عربدتها بعد أن نجحت فى تدمير أفغانستان ، وأقامت قواعد عسكرية لها على أنقاضها .. أجل من حق واشنطن أن تعربد بعد أن أثبتت أنها الشرطى الدولى الوحيد فى عالم فقد رجولته ليستمتع بأنوثته ، جعل هذا الشرطى النكد يهدد ويتوعد السودان واليمن والصومال والعراق ولبنان وإيران ..

وليس عجيبا أن لايستهدف الكاوبوى الأمريكى سوى العرب والمسلمين بعد أن اطمأن إلى أن العرب والمسلمين غثاء كغثاء السيل ، وحثالة لايبالهم العالم بالة !

فى عدد « المشاهد السياسى » اللندنية ، الصادر فى السادس عشر من ديسمبر الماضى كان عنوان « كلمة العدد » أين الصوت العربى على الساحة الأمريكية ؟؟ أشار المقال إلى أن اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة حقق انتصارا بارزا ، أدخل السرور إلى قلب أرييل شارون فقد نجح فى الضغط على جورج دبليوبوش ، مما دفعه لإعطاء الضوء الأخضر لرئيس الوزراء الإسرائيلى ، الذى سعى إلى الحصول عليه ، منذ تفجيرات ١١ سبتمبر الماضى فى نيويورك وواشنطن : ألا وهو إعلان الحرب على الفلسطينيين ، وخصوصا على السلطة الفلسطينية التى يترأسها ياسر عرفات !

وكان شارون يتوقع أن تؤدى هجمات ١١ سبتمبر إلى إعطائه الحق الفورى ، لإطلاق وقيادة هذه الحرب .. ولذلك فقد فوجئ وغضب وصعق لسماع الرئيس بوش يتحدث عن الحاجة إلى العثور على حل عادل للصراع العربى الإسرائيلى ، وضرورة إنشاء دولة فلسطينية وفى تلك المرحلة بدأ اللوبى اليهودى يعمل للتأثير على إدارة بوش فى مواقفها والحط من قدر الفلسطينيين عموما ، والسيد عرفات شخصيا لتحويل الأنظار عن القضية الفلسطينية برمتها .

ويتساءل المقال :

أين كان الصوت العربى فى العالم؟ وأين العمل العربى ؟ فلا يكفى للعرب أن يرفعوا أيديهم عاليا ويستسلموا قائلين : إن الإعلام الأمريكى ،

والكونجرس والمراكز الرئيسية فى الحكومة الأمريكية يسيطر عليها يهود مؤيدون لإسرائيل .. ولايكفى القول : إن العالم العربى منقسم كثيرا وإلى درجة لاتسمح باتخاذ موقف فاعل ومنظم مسبقا .. إن التفكير السلبى من هذا النوع يتجاهل وجود مجموعات عربية فى الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى ، وقد تواجدت هذه المجموعات لفترة طويلة تسمح لها بمعرفة طريقة عمل النظام السياسى فى هذه الدول ، وما عليها أن تفعل لتسمع صوتها

إن التحليل السلبى يتجاهل الحقيقة التى تشير إلى أن الشقاق العربى يعود إلى فشل القيادات العربية فى بذل المجهود الكافى للعمل على اتخاذ المواقف الموحدة فى وجه الحملة الإسرائيلية ضد الفلسطينين .

وأخيراً يحذر المقال :

إذا استمرت هذه الحال كما هى ، فإن القادة العرب سيواجهون عدوا بداخل أنظمتهم ، وحتى لو اتخذت الأنظمة العربية إجراءات قوية لقمع المعارضة الداخلية ، وإسكات التمرد فى بلدانها ، فإن الغضب الشعبى العربى إزاء الطريقة التى تعامل بها إسرائيل الفلسطينين وتذلهم يوميا قد يصل إلى حد سيدفع الناس إلى أخذ زمام الأمور بأيديهم مهما كانت النتائج .

والأهم من ذلك :

فإن الفلسطينيين يستحقون أكثر مما قدمه إليهم الأشقاء العرب .. إنهم يستحقون أن يروا هؤلاء الأشقاء واقفين بجرأة وناطقين بصوت حازم وموحد ، ومتخذ من نفوذهم الكبير فى الغرب لإيصال الرسالة بأن ما يحدث هذه الأيام فى فلسطين هو مرفوض كليا !!

ونحن نردد ما قاله الشاعر العربى

لقد ناديت لو أسمعت حيا ولكن لاحياة لمن تنادى

ومن يدرى ؟ فلعل إسرائيل تمل فى يوم من الأيام إذلال العرب لامن أجل عيون العرب ، بل لكى تحرمهم من شهيتهم ، بعد أن أصبح الإذلال شهيتهم الأثيرة .

فى العشرين من ديسمبر الماضى ، انعقد بالقاهرة مؤتمر وزراء خارجية العرب والرئيس الفلسطينى حددت إسرائل محل إقامته فى رام الله ، بعد أن دمرت طائراته الثلاث ، وبنايات إدارات السلطة الفلسطينية ، وبعد أن

استغاث مرارا وتكرار بالعرب ، ويبدو أنه لم يحفظ قول الشاعر :

المستجير يعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولك أن تضحك ـ وشر البلية ما يضحك ، وأنت تقرأ بيان وزراء الخارجية العرب تقول العناوين الرئيسية .

● العرب يجددون الثقة فى عرفات .. وممثلى السلطة ومنظمة التحرير الفلسطينية مؤكدين : لا .. للاستسلام ..

● استخدام أمريكا للفيتو ووصف المقاومة بالإرهاب تحد لمشاعر الشعوب العربية .. والدعوة للتنسيق مع عرفات من أجل حل سياسى عادل »

● موسى : الأمين العام للجامعة العربية : الاجتماع موقف سياسى استراتيجى ورسالة واضحة ضد سياسات إسرائيل ومن يؤيدها فى البيان الشمولى الخطير

● يوجه الوزراء نداء جماعيا إلى الولايات المتحدة بأن تجرى تفعيلا فوريا لما طرحه وزير خارجيتها من إطار عام للتسوية .. وأن تعود لتلعب دور الوسيط النزيه ، فتعيد النظر فى مدى تأييدها للسياسة الإسرائيلية المتطرفة .

● يوجه الوزراء نداء إلي كافة أفراد الشعوب العربية ـ بعدم التعامل مع إسرائيل اقتصاديا بأى شكل من الأشكال ، وأن يقاطعوا البضائع والمنتجات الإسرائيلية فى أى سوق كانت ، وبخاصة منتجات المستوطنا ت الإسرائيلية .

ملحوظة : النداء بالمقاطعة موجه إلى أفراد الشعوب العربية ، وليس إلى الأنظمة العربية .. تفاديا لأزمة سياسية مع واشنطن .

● يدعو الوزراء إلى وقف الاتصالات السياسية مع رئيس الوزراء الإسرائيلى وقفا تاما ، وبخاصة أنه ثبت بمالا يدع مجالا للشك .. أن رئيس الورزاء الإسرائيلى شارون ليس رجل سلام ..

ملحوظة : إن هذا لمثير للضحك .. إسرائيل كانت دائما هى البادئة بوقف الاتصالات مع السلطة الفلسطينية .

والحق أننى لم أجد شيئا ذا بالى للتعقيب ، لأن اجتماع وزراء خارجية العرب الأخير بالقاهرة ، لم يزد شيئا عن أسلافة ، فالعرب لم يفعلوا ولن يفعلوا أكثر من الكلام وحتى أضعف الإيمان لم يبلغوه ، لأن الله ـ عز وجل ـ منحهم القدرة على الكلام ، وأصبحت هذه طبيعتهم .. ولا أمل فى تغييرها ، وقديما قال الشاعر العربى :

و مقلب الأيام ضد طباعها　　متطلب فى الماء جذوة نـار
وإذا رجوت المستحيل فإنما　　تبنى الرجاء على شفيرهار

ويبدو أن القارئة من صنعاء اليمن كانت تحس بما نحس به ، فكتبت إلى «المشاهد السياسى »اللندنية تحت عنوان : هل ماتت الوحدة » ؟ تقول « كل الذى حصل للعرب والفلسطينيين ، سيحصل الدور المقبل على أكثر من دولة ، وبعضها من اعتبر نفسه طوال الفترة السابقة صديقا عزيزا ، وحليفا من الباطن والظاهر للولايات المتحدة .. الجماعة تصوروا أنهم معفيون من المخطط الأمريكى الإسرائيلى لتفتيت العرب وتحويل الوطن العربى إلى كانتونات ، تكون الدولة العبرية الأكبر فيه ، حتى يسهل عليها أن تفرض ما تريد من سياسات ، وأن تتحول إلى موظف رسمى لدى أمريكا . تقوم بدور حماية مصالحها ، وجباية أموال النفط ، وحماية الأنظمة .. لاشك فى أن العرب جميعا يدركون أهمية السلام والاستقرار ، ولم يعد فيهم إلا القليل من يرفض التعايش مع إسرائيل »

هذا ما قالته فتاة صنعاء ـ أسماء ظاهر ـ فقط تقول لها ردا على تساؤلها : « هل ماتت الوحدة العربية ؟ إن الوحدة العربية يا عزيزتى لم تمت ، إنها لم توجد أصلا حتى تموت ، لأن الموت يلحق الأحياء ولايلحق الأموات .

أجل : لقد بلغ السيل الزبى :

والأمة الإسلامية عربيها وعجميها تغط فى سبات عميق ، كل من زعمائها وحكامها يقول : « أنا وبعدى الطوفان » والغرب الصليبى يخطط لنسف بقية أطلال الوجود العربى والإسلامى بقيادة واشنطن التى استغلت أحداث الثلاثاء المشئوم واتخذت من مسألة « الإرهاب » ذريعة لتنفيذ مخططاتها ، ومادامت حققت أهدافها ونجحت فى تدمير أفغانستان وإقامة قواعد عسكرية لها على أنقاضها ، فعليها أن تواصل حربها الإبادية على بقية الدول العربية والإسلامية بمقولة أنها تؤوى الإرهاب وتمده بالمال .

بل وما هو أدهى وأمر ، هو أن واشنطن بذلك تستهدف إثارة الرعب والفزع فى بقية الدول ، حتى تتفادنى فى الركوع لها ، والسجود تحت أقدامها ، وهى لاتخشى الشعوب ، بعد أن قتلت فيها أنظمتها روح الكفاح والبذل والتضحية . أليس من حق واشنطن أن تعربد كيفما تشاء ، بعد أن حولت أوربا إلى توابع من الدرجة الثانية ، مما حدا بدولة كانت عظمى ، ومنذ أكثر من نصف قرن كانت لاتغرب الشمس عن مستعمراتها فى شتى بقاع آسيا وأفريقيا وغيرهما ـ هذه الدولة البريطانية فى هذه الأحداث

الأخيرة قدمت فروض الولاء لواشنطن ولاء يتجاوز ـ لا ولاء العبد لسيده ، بل ولاء الغنم لعصا الراعى .

فى عدد « المشاهد السياسى » السابق :

فى الشهر الحالى ـ ديسمبر ـ فى الرابع منه ذكرت صحيفة لندنية معروفة ، أن بريطانيا ستدرب بعضا من وحداتها العسكرية على شن هجمات خاطفة ، على أهداف محددة فى بلدان يشتبه ـ مجرد اشتباه ـ بإيوائها خلايا لمنظمة القاعدة « الإرهابية » منها الصومال والسودان واليمن وأشارت الصحيفة إلى أن وزير الدفاع البريطانى ـ جيف هون ـ قدم فى خطاب عن الدفاع الاستراتيجى خططا هجومية مخصصة لوحدات عسكرية تكون مكلفة بشن هذه الهجمات !

هل نتجاوز الحقيقة إذا قلنا :

« لقد بلغ السيل الزبى » والأمه المسلمة فى سبات عميق ؟؟

وبرغم ذلك :

فالإعلام العربى والإسلامى لايعترف بالواقع المرير ، يهلل لسلوكيات السادة ، ويبالغ فى تلميعهم فى تحد جرئ سفيه لمشاعر الشعوب العربية والإسلامية ، هذه المشاعر التى قام السادة بخنقها حتى لاتبديها نحو دولة مسلمة شنت عليها حرب الإبادة من أعداء الله ، حتى لاتقوم لهذه الدولة قائمة بعد اليوم .. بل إن السادة منعوا المظاهرات السلمية وقدموا قادتها إلى المحاكمة بتهمة الإخلال بالأمن .. وأخيراً وليس آخرا نقول :

لاجدال فى أن الأمم لا تقاس بالكم العددى ، وإنما بالكيف المعنوى ، ولعلنا لم ننس بعد فى بداية الاستعمار الأوربى ، أن دولة أوربية مثل بلجيكا أو هولاندة أو البرتغال أو إسبانيا ، كانت أى منها تستعمر دولا عدد سكانها أضعاف أضعاف عدد سكان الدولة المستعمرة ، وأن الدولة المستعمرة ببضعة ألاف من جنودها تسوق أمامها عدة ملايين فى آسيا وأفريقيا . ولعل فرنسا وبريطانيا أبرز مثال فى هذه الصدد إلى درجة أن جمال الدين الإفغانى فى حين كان بالهند منفيا من مصر بأمر السفارة البريطانية ، وقف خطيبا فى الشعب الهندى ، قائلا :

« يامعشر الهنود : لو أن الله مسخ ملايينكم ذبابا لاستطاعت أن تخرج الإنجليز بطنينها ..ولو أن الله مسخ ملايينكم سلاحف فغاصت في البحر لاستطاعت أن تقتلع الجزر البريطانية من جذورها . !

ولماذ نذهب بعيدا ؟

ولدينا مثل صارخ فى العصر الحديث ، فمنذ أكثر من نصف قرن فى عام ٩٤٨م كان العرب مائة مليون أو تزيد ، انهزمت جيوشهم أمام عصابات من اليهود ، انتزعت منهم أرضا عزيزة ، أقامت عليها دولة ولدت من سفاح ، بل إن هذه العصابات تجاوزت حدودها فاحتلت سيناء زهاء عشرين عاما ، وجنوبى لبنان ثمانية أعوام ، ولاتزال تحتل الجولان السورى ، منذ أكثر من ثلث قرن من الزمان .

ومنذ أكثر من عشرة أعوام بدأت المفاوضات تدور فى حلقه مغلقه من مدريد إلى أوسلو ، ومن كامب ديفيد بأمريكا إلى شرم الشيخ بمصر ، وأخرجت لسانها إسرائيل وما تزال تخرجه لكل الاتفاقيات التى وافقت عليها ، وياسر عرفات رئيس السلطة ـ بلا سلطة ـ أنفق ملايين الدولارات وقطع ألوف الأميال فى رحلاته المكوكية مستجيرا بزعماء العالم بلاجدوى ، منحوه كلمات المجاملة وحسب بلا إشفاق على من خذله أهله ، ولو أننا ـ على مسار السنوات العشر السالفة ـ أحصينا تصريحات بعض الزعماء العرب بشأن قضية فلسطين ، لما وسعتها بضعة مجلدات وكل مهمة وسائل الإعلام : صحافة وإذاعة وتلفازا أن تشيد بهذه التصريحات وبمنحها نشرات الأخبار الأولوية .. والأيام تثبت أن الزعماء العرب لايملون الكلام والكلام وحده لأن الشعوب العربية المكبلة بقوانين الطوارئ وأجهزة الأمن ، ليس من حقها أن تسأل زعماءها ـ ولوهمسا ـ ماذا فعلتم ؟؟

ولانظن أن إسرائيل أقامت أو تقيم أو ستقيم وزنا لتصريحات الزعماء العرب ، وهى منذ أكثر من عام تسيح وتطيح ، تدمر المبانى وتجرف الأراض الزراعية ، وتغتال كوادر المقاومة ، وتطلق النار عشوائيا على المارة فى الطرقات ، وتهدد روع الآمنين فى مساكنهم وتملأ سجونها بالشباب الفلسطينى .

والحق يقال :

إن الزعماء العرب يتمتعون بأكبر قدر من السذاجة الساسية ، بل ووسائل الإعلام تجاريهم فى هذا .. وفى عدد « الأسبوع » (٨ / ١٠ / ٢٠٠١) تساءل الأستاذ أسامة أيوب :

هل كان تصريح الرئيس الأمريكى بوش بأن فكرة دولة فلسطينية كانت دائما جزءا من رؤية الولايات المتحدة للشرق الأوسط ، بشرط احترام حق إسرائيل فى الوجود « هل كان هذا التصريح بما تضمنه من كلام مرسل وغير

محدد ، والذى اعتبرته الدوائر السياسية والإعلامية العربية إقرارا ضمنيا من جانب واشنطن بالدولة الفلسطينية .. هل كان يستحق كل هذا التهليل الرسمى الذى ظل يتردد فى العواصم العربية طوال الأسبوع الماضى ولايزال ؟

وإذا كانت دوافع الرئيس بوش ـ كما يقول الكاتب ـ للإدلاء ـ وفجأة وفى هذا التوقيت بهذا التصريح غير خافية ولها مبرراتها التى تعكس فلسفة السياسة « البراجماتية » فإن ردالفعل المتسرع من الجانب العربى والفلسطينى ـ وعلى هذا النحو من الابتهاج والثناء على الإدارة الأمريكية بدا غير مبرر وغير مفهوم ، باعتباره نوعا من السذاجة والبلاهة السياسية أو على الأقل ـ محاولة لافتعالها ، وهو موقف مرفوض من الشارع العربى فى كل الأحوال .

ويضيف الكاتب :

إن هذا التهليل العربى الحكومى لتصريح بوش ، إنما يُشكل خطرا وخطأ استراتيجيا فادحا ولعدة أسباب واعتبارات ، ولعل أولها : تفريغ القضية الفلسطينية من مضمونها القانونى والتاريخى ، كما أنه يدعم محاولات نزع السند الشرعى والقانونى للدولة الفلسطينية وجعلها مرتهنة للقرار الأمريكى والرؤية الأمريكية ، فى حين أن قيام هذه الدولة يستند إلى حق تاريخى ومشروعية دولية وفقا لقرارت الأمم المتحدة ومجلس الأمن بداية من قرار التقسيم عام ١٩٤٧م وحتي القرارات القاصية بانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتلها عام ١٩٦٧م بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومعنى هذا أن الرئيس الأمريكى تحدث عن الدولة الفلسطينية بوصفها «فكرة » وليس بوصفها أمرا واقعا وحقيقة ـ وفى إطار الرؤية الأمريكية ، وليس فى إطار الشرعية الدولية ، والحق التاريخى والقانونى وواقع الأمر ـ كما يقول الكاتب : « أن الحكمة تقتضى أن يعيد العرب موقفهم لتهليلى ، حتى يمكنهم تبين حقيقة المناورة الأمريكية بشأن الدولة الفلسطينية التى أضاعها وعد بلفور ، ولن يعيدها وعد بوش »•

• وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا الصادر في الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ م

ولندع كل هذه بآلامها وأوجاعها إذ على مسار أكثر من نصف قرن من الزمان ، والعرب والمسلمون كثرة بلامعني ، يجيدون الكلام ولا يجيدون العمل ، تتحداهم دويلة كونت من عصابات ، ترى فيهم ربات الحجال ولاترى فيهم أربابا للعمامة والعقال ، زعامات من ورق كل همها أن تعيش أباطرة وأكاسرة وفراعين ، تتربع على عروش خاوية فى رعاية الجيش والشرطة والمخابرات ووسائل الإعلام ، كل زعيم يصرخ بأعلى صوته : أنا .. وبعدى الطوفان » .

وشعوب من خيوط العنكبوت رضيت لنفسها أن تكون مغلوبة على أمرها ، عزلتها أنظمتها وحرمتها أن يكون لها دور فى اتخاذ القرار ، بل لقد أرغمتها على التهليل والهتاف للقرار .

وها نحن أولاء ـ مثلا ـ نرى أن الشعوب العربية والإسلامية ـ إزاء الأحداث الجارية التى تستهدف دولة مسلمة . لم يسمع لها صوت جدير بالاعتبار بسبب ضغوط السلطة عليها ، هذه السلطة لاتقيم وزنا للفجوة بينها وبين الشعوب بينما تزكى هذه الفجوة واشنطن .

فى مقال الكاتب الأستاذ سلامة أحمد سلامة ، تحت عنوان : « الفجوة تتسع » (٢٣ / ١٠ / ٢٠٠١ م)

يشكو الأمريكيون مر الشكوى أن الفجوة بين مواقف الحكومات العربية والإسلامية وبين الشعوب تزداد اتساعا فيما يتعلق بالحرب التى تشنها أمريكا ضد الإرهاب•. فى أفغانستان، وهم يقولون : إنه بعد خمسة أسابيع من جهود مستمرة لإقناع دول عديدة ، من باكستان إلى نيجيريا إلى إندونيسيا ، ومن ماليزيا إلى كينيا لمساندة أمريكا فى حملتها ضد بن لادن، وقعت مظاهرات عديدة مناهضة أطلقت فيها شعارات ضد أمريكا ، وبعضها كان مؤيدا لبن لادن وطالبان .. وأضا ف الكاتب : إن الأسلوب الانتقامى قد تجاوز حده ، وبالأخص حين تحول إلى حملات عدائية ضد العرب والمسلمين ، ليس فقط فى أمريكا وأوروبا ، بل امتدت إلى الدول والشعوب إلى الدرجة التى وجدت بعض الأطراف نفسها ، وبين يديها تصريح بالقتل أو بالاضطهاد الأمر الذى شجع شارون على سبيل المثال ـ على أن يساوى بين ياسر عرفات وبن لادن ، وبين المقاومة الفلسطينية وتنظيم

•• الحرب ليست ضد الإرهاب بل ضد الإسلام .

القاعدة ، وهو يعلن الآن بوضوح شديد أنه يفعل فى الأرض الفلسطينية ما تفعله أمريكا فى أفغانستان .

ولا تستطيع الشعوب العربية والإسلامية ـ كما يقول الكاتب ـ أن تغمض عينيها عما يجرى الآن فى أفغانستان من حرب حقيقية ، يجرى فيها تدمير البيوت والقرى ، ويسقط مئات الهاربين من عنفوان القصف ضحايا وفى نفس الوقت يرفض الرئيس بوش وقف الغارات لساعات معدودة لكى تتمكن هيئات الإغاثة الدولية والصليب الأحمر من توصيل المساعدات الإنسانية إلى ملايين الفارين من نيران القنابل والصواريخ.

هذه هى الحقائق التى تحرك المشاعر المناهضة لأمريكا : شعب أعزل لاحول له ولاقوة ، يتعرض لمعاناة لا يملك لها ردا ، بسبب جماعة إرهابية زرعتها أمريكا وليس مسئولا عنها .

ولنا كلمتان تعقيباً على بعض ما قاله كاتب يحترم قلمه :

الأولى : أن الشعوب العربية والإسلامية تحكم حكما إرهابيا ، لاتملك مجرد إبداء شعورها كما ينبغى إزاء حرب الإبادة التى تشنها أمريكا على أفغانستان ، ولم تتورع أنظمة من اعتقال من تسول له نفسه أن يبدى شعورا مناسبا للمأساة .

الأخرى : إن طالبان حركة إسلامية ينقصها الفهم الصحيح للإسلام الحق الذى رضيه الله لعباده دينا ولم تكن صناعة أمريكية ،وهى التى قامت بالدور الرئيسى فى إجلاء روسيا عن أفغانستان ، والذين يحلولهم الحديث عن عمليات « إرهابية » نسبت إلى بن لادن ، لماذا تخرس ألسنتهم ويتجنبون الحديث عن جرائم إرهابية ترتكبها واشنطن فى حق شعب العراق ، أو جرائم إرهابية بالغة البشاعة ترتكبها ربيبتها إسرائيل في شعب أعزل إلا من الحجارة والطوب ؟؟

وماذا .. بعد أن عقمت الأمهات ؟

أجـــل :

لقد عقمت الأمهات من قبل ، فلم تلدن مثل صلاح الدين قاهر الصليبيين أو قطز قاهر التتار ، وفى العصر الحديث ، مثل الملك فيصل بن عبد لعزيز ملك المملكة العربية السعودية ، والإمام الخومينى زعيم إيران بحق .

في أوائل الستينات زار وزير خارجية أمريكا السعودية ، والتقى بالملك فيصل بالعاصمة ـ الرياض ـ يبحث معه مسأله فلسطين ، تكلم الوزير زهاء ساعة ، والملك يصغى فقط ولايتكلم .. سأله الوزير ! ماذا يرى جلالتكم ؟ إننى تكلمت كثيرا دون أن يتكلم جلالتكم ؟

فأخذ الملك بيده إلى إحدى شرفات القصر ، وقال له : انظر : ماذا ترى؟ قال : لا أرى إلا النخيل تحمل التمور . قال له الملك : إذن فليكن فى علمك أننا مستعدون إلى ما شاء الله لأن نعيش على هذه التمور ولانفرط فى أرض فلسطين ، وحين تعود أدراجك إلى واشنطن أخبر الرئيس : أن أعز أمنية لدى فيصل هى أن يصلى ركعتين بالمسجد الأقصى قبل أن يموت ».

وهمس الوزير إلى نفسه : هذا الرجل خطير ، يجب أن يحسب له ألف حساب .. ويجب أن يرحل .. وقد كان فى عام ٩٧٥ رحل رحمه الله ، والإمام الخمينى خلال مسألة الرهائن عام ٩٨٠م أذل أمريكا أكبر وأقوى دولة فى العالم .. وجعلها أضحوكة الناس جميعاً

ومعظم زعماء اليوم ـ فى ديار العروبة والإسلام ـ من ورق ، دمى فى يد واشنطن ومنهم دمى قلة فى يد موسكو .. ينطبق عليهم قول الشاعر :

أسد عّلى وفى الحروب نعامة .

هؤلاء الزعماء : أسود وحسب على شعوبهم نعام أمام واشنطن وحتى تل أبيب .. أسود على شعوبهم التى جعلوها دائما تحت مطارقهم ، وأعدوا لها السياط والسيوف والسجون والمعتقلات ، وقوانين الطوارئ وأمن الدولة ، والمحاكم العسكرية ، لكل من يفكر مجرد التفكير في الخروج على الطاعة ، بل هذه الزعامات ترى أن كل من ليس معها جهارا نهارا فهو عليها

ولم نكن فى حاجة إلى دليل على هذا ، بل إن أحداث الثلاثاء الأسود فى الحادى عشر من سبتمبر الماضى وما بعدها ، لم تدع فرصة للبحث عن دليل ، حيث بادر الزعماء العرب والمسلمون بإعلان فروض الطاعة والولاء لواشنطن قبل أن تبدأ التحقيقات فى الأحداث ، والواقع أن واشنطن لم تكن فى حاجة إلى هذه التحقيقات إلامن قبيل التعمية ، لأن حيثيات الاتهام وأسماء المتهمين ، بل وإصدار الحكم بشن حرب صليبية على الإسلام ، إنما كان معدا فى انتظار الإشارة للتنفيذ .. هذه الحرب الصليبية الشرسة كانت قادمة لامحالة ،وإن لم تقع أحداث الثلاثاء المشئوم ..

وأصبح من حقنا أن نقول :

● ولا عزاء للجبناء :

يقال : ولاعزاء للسيدات .

ولكن فى محنة الأمه المسلمة التى كادت أن تقضى على كيانها ، نقول ولاعزاء للجبناء : وبخاصة إذا كان أبناؤها أساس محنتها .. وقد تجردوا من أخلاق الإسلام : الشهامة والبسالة والبذل والتضحية .

هناك بيت مشهور لأمير الشعراء : أحمد شوقى ، يقول

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

فما ذا كان شوقى سيقول لوعاش عصرنا هذا ورأى القوم وقد أصيبوا فى مروءتهم ورجولتهم وكرامتهم .. وأصبحوا غير جديرين حتى بالانتماء إلى ربات الخدور والحجال ـ فضلا عن الانتماء إلى ذوى الشوارب واللحى والعمائم والعقال !

إسرائيل تواصل أعمالها الإجرامية ضد شعب فلسطين الأعزل إلا من الهراوات والطوب والحجارة ، وتنتهك حرمات المسجد الأقصى وتواصل اعتداءاتها على لبنان وتنفذ مخططاتها فى اغتيال واعتقال الكوادر من منظمة فتح وحركة حماس والجهاد .. وأحد الخنازير ـ آسف ـ أحد الحاخامات ـ ومعذرة للخنازير ، صرح بـ أن العرب نمل يجب سحقه ،وصرح خنزير آخر ـ ومعذرة ثانية للخنازير ـ صرح بـ أن اغتيال الفلسطينيين حلال ومشروع ، وعلى إسرائيل أن تستمر !!

لندع العالم الإسلامى الذى أصبح كهشيم تذروه الرياح .. فرط فى الجوهر والشكل معا .. ونتساءل فى أسى مرير : إلى متى يكتفى العرب والمسلمون بالشجب والاستنكار ؟ ويدعون إلى قمم عربية وإسلامية ، وهم واثقون كل الثقة بأنها لمجرد الاستهلاك وتلميع القادة .. والزعماء ؟

وإلى متى يظل ـ ياسر عرفات ـ يجوب العالم شرقا وغرباً وشمالا وجنوبا ـ باستثناء بلاد الإسكيمو ، برغم أن مئات رحلاته لم تسفر إلا عن نتيجة كالسراب ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .. وشاء الله ـ رحمة به ـ أن تحطم قوات إسرائيل طائراته الثلاث ، وأن تحدد إقامته فى رام الله .. وتفضلت عليه إسرائيل فسمحت له بالتجوال فى رام الله ـ راجلا

أو على ظهردابة من الدواب !

وأخيراً ـ وليس أخرا :

إلى متى يظل رئيس السلطة الفلسطينية ، يناشد العالم : الجن والإنس معا حتى بح صوته ـ أن يتدخل لحماية شعب فلسطين ، وينسى الزعيم أن عالم اليوم يستجيب للأقوى ، ولايستجيب للضعيف الذى خذله أهله ، وتخلى عنه ذوو رحمه !!

ولا تسأل عن الشعوب العربية والإسلامية التى تتوهم أن أحاسيسها ومشاعرها ، وأفقدتها حتى شهية الاستنكار ـ ولو بأصوات هامسة ، وفرضت عليها عدم القيام بمظاهرات سلمية « بقوانين الأمن !

العالم العربى يتسابق فى شراء أحدث الأسلة من أشرس أعداء العروبة والإسلام ، بل ويقترض عشرات المليارات من الدولارات فى سبيل ذلك ، وهو موقن بأن هذه الأسلحة قد تتحول إلى ديكورات صماء ، لاتدب فيها الحياة إلا لقتال العرب أو المسلمين أو مواجهة انتفاضة الشعوب ، وإن كان الأمل ضعيفا فى أن ينتفض شعب من هذه الشعوب .

إن تل أبيب يا سادة ، ليست مكمن الخطر لأنها بدون واشنطن لاتساوى شيئا ، وإنما مكمن الخطر ـ واشنطن ـ والعرب اليوم الذين يطربون بسماع إذاعة صوت العرب : أمجاد يا عرب أمجاد .. هم أعجز من أن يفكروا ـ مجرد التفكير ـ فى أن يتحدوا واشنطن ، لأن بعض دول العرب تعيش فى حماية واشنطن ، وتدفع ثمن الحماية باهظاً ، والبعض الآخر مكبلة بالمعونات والقروض ، وأصبح أكرم للعرب أن يعرفوا أقدار أنفسهم ، ويرفعوا الراية البيضاء متجهين إلى تل أبيب ، ليقدموا فروض الولاء ورؤسهم منكسة للسفاح شارون .

ورحم الله شاعر تونس أبا القاسم الشابى الذى قال :

إذا الشعب يوما أراد الحياة .. فلابد أن يستجيب القدر

ونسى الشاعر ـ رحمه الله ـ أن الشعب العربى لم يعد مؤهلا لكى يريد الحياة !!

* * *

والإسلام وحده يدفع الثمن

أجل :

الإسلام هوالذى يدفع وحده الثمن :

والمسلمون هم السبب فى أن يدفع الإسلام وحده الثمن .

وصدقت نبوءة رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه مسلم فى صحيحه عن ثوبان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها .. وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها .. وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى أن لايهلكها بسنة عامة .. وأن لايسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم .. وإن ربى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لايرد » وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها .. أو قال : من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا .. ويسبى بعضهم بعضا »

زوى : جمع الأحمر والأبيض : الذهب والفضة بسنة عامة : بقحط يعمهم

يستبيح بيضهم : أى جماعتهم وأصلهم ، يريد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعا

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها ستكون فتنة .. ألا ثم تكون فتن . القاعد فيها خير من الماشى فيها والماشى فيها خير من الساعى إليها .. ألا فإذا نزلت أو وقعت .. فمن كان له إبل فليلحق بإبله .. ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ..ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه »

قال : فقال رجل : يارسول الله : أرايت من لم تكن له إبل ولاغنم ولاأرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر .. ثم لينج إن استطاع النجاء : اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟؟

قال : فقال رجل : يا رسول الله : أرايت إن أكرهت حتى ينطلق بى إلى أحد الصفين ـ أو إحدى الفئتين فضربنى رجل بسيفه ، أو يجئ سهم فيقتلنى ؟ قال : يبوء بإثمه وإثمك .. ويكون من أصحاب النار » .

وفى صحيح مسلم عن أى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده : لاتذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لايدرى القاتل فيم قتل ؟ ولا المقتول فيم قتل ؟ فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : «الهرج » القاتل والمقتول فى النار » !

وفى صحيح مسلم عن الأحنف بن قيس قال :

« خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقينى أبو بكرة فقال : أين تريد يا أحنف؟ قال : قلت : أريد نصر ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعنى عليا ـ رضى الله عنه ـ قال : فقال لى : يا أبا حنيف .. ارجع ،فإنى سمعت رسول الله ـ يقول :

إذا تواجد المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول فى النار » قال : فقلت ـ أو قيل : يارسول الله : هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال « إنه قد أراد قتل صاحبه »

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« بادروا بالأعمال .. فتنا كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا .. أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا .. يبيع دينه بعرض من الدنيا

العرض : بفتحتين .. متاع زائل

لاجدال فى أن ما حدث للأمة وما يزال ـ سببه هو الإعراض عن منهج الله ـ عز وجل ـ يؤكده ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال :

« قام فينا رسول الله خطيبا بموعظة فقال :

« يا أيها الناس : إنكم محشورون إلى الله ـ عز وجل ـ حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » ألا وإن أو ل الخلآئق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام .. ألا وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول « يارب أصحابى » فيقال « إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك» فأقول كما قال العبد الصالح : **« وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ**

شهيده ● إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » قال : فيقال لى « إنهم لم يزالوامرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

غرلا : غير مختونين العبد الصالح : عيسى ـ عليه السلام

ولاجدال ـ ثانيا ـ فى أن أول فتنه حدثت فى هذه الأمة من تلقاء إعراضها عن منهج الله ـ عز وجل ـ كانت بسبب النزاع على السلطة ، ومنهج الله فى الحكم أن يكون تكليفا لاتشريعا ، وأن الحاكم واحد من سائر الرعية غير أنه أثقل حملا ومسئولية معا .

روى مسلم فى صحيحة عن عوف بن مالك رضى الله عنه ـ قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم .. وتصلون عليهم ويصلون عليكم.. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ..وتلعنونهم ويلعنونكم» قال : قلنا يا رسول الله : أفلاننا بذهم ؟ قال : لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة ..لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة ».

ما أثقل مسئولية الراعى التى لايبالها من تتملكه شهوة السلطة ، بل إن منهج الإسلام فى الحكم ، يعتبر من كانت لديه شهوة السلطة ، غير أهل لتولى الحكم ، وقدروى الشيخان : البخارى ومسلم عن أى موسى الأشعوى رضى الله عنه ـ قال :

« دخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنا ورجلان من بنى عمى ـ فقال أحدهما : يا رسول الله أمّرنا على بعض ماولاك الله ـ عز وجل » وقال الآخر مثل ذلك . فقال : إنا ـ والله ـ لانولى هذا العمل أحدا سأله، أو أحدا حرص عليه ».

وعلى هذا النهج سار عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ، جلس يوما يستعرض بعض الأشخاص ليوليهم ، وقد أحسن الظن بأحدهم فاستدعاه لكى يبلغه اختياره لإحدى الإمارات لكن الرجل بادر عمر بطلب الإمارة فقال له عمر : كنت أفكر فيك ،ولكن ما دمت طلبت الإمارة .. فلا .. فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لمن طلبها : « إنا ـ والله ـ لانولى هذا العمل أحدا سأله أو أحدا حرص عليه » .

وعلى نفس النهج ـ كذلك ـ مارواه الشيخان عن عبد الرحمن بن سمّرة ـ

رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :« ياعبد الرحمن بن سمره : لاتسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها من غير مسأله أعنت عليها . وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها » .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، لقد كنت خبيرا بالنفس البشرية التى تتملكها شهوة الحكم والسلطة وقد يكون فيها هلاكها ، لذا شددت ـ صلوا الله وسلامه عليك ـ فى هذه المسئولية عن الحكم .

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة »

وروى مسلم فى صحيحة عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « قلت يا رسول .. ألا تستعملنى » ؟ فضرب بيده على منكبى ، ثم قال :« يا أبا ذر : إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة .. إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها »

أجل :

كان ـ صلوات الله وسلامه عليه خبيرا بالنفس البشرية ، وكان على دراية ، بأن شهوة السلطة ستكون مثار نزاع بين المسلمين قد يؤدى إلى أن يسفك المسلم دم أخيه المسلم ، وقد حدث ـ ومن هنا حذر مغبة ذلك ، وفى حجة الوداع قال : **« لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .**

وإلى القارئ هذا الحديث النبوى الجامع الذى ـ رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« دخلت المسجد ، فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ جالس فى ظل الكعبة ، والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم ، فجلست إليه فقال : « كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر ، فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشرة ، إذ نادى منادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الصلاة جامعة .. فاجتمعنا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

« إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها ،

وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ؛ ويجئ فتنه ، فيرقق بعضها بعضا و نجئ الفتنة فيقول المؤمن : هذه مملكتى ثم تنكشف . . وتجئ الفتنة فيقول المؤمن : « هذه . . هذه » فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدحل الجنة ، فلتاته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه . .ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ، فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

قد نوت منه ـ أى عبدالله بن عمرو بن 'لعاص ـ فقلت له :

« أنشدك الله ! آنت سمعت هذا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيده ، وقال ؟

سمعته أذناى ، ووعاه قلبى »

فقلت له : « هذا ابن عملك معاوية ، يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا ونقتل أنفسنا ، والله عزوجل يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾

قال : فسكت ساعة ثم قال :

«لا : أطعه فى طاعة الله . . واعصه فى معصية الله » ! !

ينتضل : يتسابق — الخباء : كالخيمة من الوبر أو الشعرأو الصوف

الجشر : الدواب ترعى ولاتعود مساء — يرقق بعضها بعضا : تعتبر الفتنة 'لأولى أرق من الثانية

ولاجدال أن كل شر أصاب هذه الأمة مرجعه التفريط فى منهج الله أى منهج الإسلام أيضا ، وفى كثير من الأحيان أن التعصب القبلى أو العرقى يكون هو الدافع إلى تنمية شهوة السلطة ونزعة الحكم ، برغم أن الإسلام كان من بوادر أعماله محو العصبية القبلية والعرقية باعتبارها من مقومات الجاهلية . . إن أول آية نزلت من القرآن : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ كانت خاصة بالعقيدة . . الإيمان بوجود الله ـ سبحانه ـ وجاءت الآية التالية مباشرة ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ لتقرر مبدأ المساواة بين البشر جميعا وإلغاء العصبية التى احتضنتها الجاهلية ، وإزاء هذا الإلغاء لايكون ولاء المسلم إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، لأن رحم العقيدة أقوى من رحم النسب والحسب .

في سورة التوبة الآية : ٢٤
﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾

وهذا لايقلل من قدر صلة الرحم ، لأن هذه الصلة تلى صلة الإيمان والعقيدة في المرتبة . قال تعالى في سورة الإسراء : ٢٣
﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾

وقال تعالى في سورة النساء : ٣٦
﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾

في الآية الأولى من سورة النساء :
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾

روى مسلم في صحيحة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال :

« لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ **دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قريشا ، فعَمّ وخَصّ قال : « يابني عبد شمس . يابنى كعب بن لؤى : أنقذوا أنفسكم من النار .. يابنى مرّة بن كعب : أنقذوا أنفسكم من النار .. يابنى عبد مناف : أنقذوا أنفسكم من النار .. يابنى هاشم : أنقذوا أنفسكم من النار .. يابنى عبد المطلب : أنقذوا أنفسكم من النار .. يا فاطمة : أنقذى نفسك من النار .. فإنى لاأملك لكم من الله شيئا .. غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها** » .

سأبلها ببلالها : سأصلها ، والبلال : الماء

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى عبدالله : عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جهارا غير سر ـ

يقول : « إن آل بنى فلان ليسوا بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها » .

يقول الإمام النووى : « شبه قطيعتها بالنار .. تطفأ بالماء ، وهذه تبرد بالصلة » .

* * *

إن التنافس على الزعامة أدت إلى حرب جاهلية بين إيران والعراق ثمانية أعوام حسوما ، كانت بمثابة وصمة عار فى جبين الأمه المسلمة كما أن شهوة السلطة لاتساع رقعتها دفعت طاغية العراق وهولاكو القرن العشرين ،إلى اجتياح الكويت وهذه الجريمة أضافت وصمة عار أشد من سابقتها في جبين الأمة المسلمة ، وسائر مؤسساتها .

ولندع الصومال على جانب ، فالحرب الأهلية الجاهلية على مسار زهاء عشرة أعوام ، والتى تؤجج نيرانها القبلية المتردية لم تنته بعد ، وقد بلغ ضحاياها أكثر من المليون ، عدا ما أصابها من دمار .

إ ن الأحداث الجسام التى أصابت الأمه المسلمة منذ بداية الفتنة فى عهد الخليفة الثالث ـ عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وحتى كارثة أفغانستان الدولة المسلمة .. كان الإسلام وحده هوالذى يدفع الثمن وبأيدى أهله .

ولدينا مثالان وهما حسبنا .

المثل الأول : الجزائر

بعد سنوات من الكفاح المسلح الذى قام به شعب مسلم ، انتزعت الجزائر الاستقلال من فرنسا التى احتلتها فى ١٦ / ٧ / ١٨٣٠ وتركتها مرغمة فى عام ١٩٩٢م بعد أن بلغ عدد الشهداء المليون ، وكان المفروض فى الزعماء أن يحافظوا على هذا الاستقلال الذى دفع الشعب المسلم ثمنه باهظا ولكن .

أجل : ولكن شهوة السلطة انتصرت على الدين والعقل والضمير ، لقد تسلم أحمد بن بيلا رئاسة الجمهورية إثر استقلالها فى الثالث من يوليو ١٩٦٢م وبدأ الصراع على السلطة مساره فى الخفاء مؤقتا إلى أن أطيح ببى بيلا بعد أقل من ثلاث سنوات فى ١٩ / ٦ / ١٩٦٥م ، وتولى هوارى بومرين حتي رحل فى السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٧٨م وحكم

بومدين الجزائر بالحديد والنار .

وبدأ بالإطاحة بجمعية العلماء ورئيسها الشيخ الإبراهيمى ، برغم أن بومدين لم يقدم على انقلابه ضد بن بيلا إلا بعد مشاورة مع الشيخ .

وتحولت الجزائر إلى حكم الجنرالات كما هى الحال فى تركيا ، وبدأ الصراع الداخلى بعد أن ألغى الجنرالات نتيجة الانتخابات التى جرت فى ٢٦ / ١٢ / ١٩٩١م ، فازت فيها جبهة الإنقاذ ، وتحول الشعب المسلم المناضل إلى برابرة يقتل بعضه بعضا . ولا يكاد يمر يوم دون وقوع مجزرة فى المدنيين الأبرياء على يد من أسموهم بـ الإسلاميين المتطرفين ، ولم تقف المأساة عند هذا الحد ، بل لقد ظهر البربر الذين ارتدوا إلى الجاهلية مثار قلق وفتنة .

المثل الثانى : أفغانستان فى يوليو ١٩٧٣ حدث الانقلاب ودخلت روسيا ونجح الشعب الأفغانى المسلم فى إخراجها مقهورة ، ولم يهنأ الشعب بالنصر ، وقد أخذت شهوة السلطة تسيطر على القادة ، وبعد أن كان الشعب كالجسد الواحد يقاتل أعداءه : أصبح برابرة يقاتل بعضهم بعضا ، وتمزقت الدولة شر ممزق بأيدى طالبان والمعارضة فى الشمال بقيادة شاه مسعود الذى هلك أخيرا ، ولم تتورع المعارضة عن أن تتلقى عونا من روسيا التى قتلت أبناء الشعب الأفغانى .

وبلغت درجة الانحطاط أقصاها لدى المعارضة ، حين انتهزت فرصة العدوان الأمريكى الغاشم على أفغانستان ، فراحت فى شراسة تقتل أفراد طالبان ، متجاهلة أنهم مسممون أفغان .. فى ظل قصف طائرات أمريكا وأبشع صواريخها .

ونحن لا نبرئ ساحة طالبان ولا ساحة المعارضة لأنهما فى الإثم بل فى الجريمة سواء ، ولا نلوم أمريكا وذيولها من دول أوروبا على شن حرب صليبية على أفغانستان ، بل نلوم فى المقام الأول الأنظمة فى ديار الإسلام التى لم تتدخل فى الوقت المناسب لرأى الصدع الذى بدأ إثر خروج روسيا ولو كانت هذه الأنظمة على وفاق مع منهج الإسلام لو أدت الفتنة فى مهدها ، ومنهج الإسلام بقول بلسان كتاب الله :

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

بالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ● إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات ٩ ، ١٠

أقول : نحن لاندافع عن طالبان ، ولكنا ندافع عن كيان دولة مسلمة فالفناء للأشخاص والبقاء للدولة ، ونحن فى نفس الوقت نشجب بشدة البغى الأمريكى ، واستخفاف واشنطن بالعالم الإسلامى وشنها حربا قذرة على دولة مسلمة ، واتهامها أشخاصا بلا دليل ، وليس هدفها مكافحة الإرهاب ، ولكن لتكون لها قواعد عسكرية فى منطقة ثرية بالبترول ، واشنطن تكذب حين تعلن أنها لن تبقى فى أفغانستان بعد القضاء على بن لادن وقاعدته ، وسوف تثبت الأيام كذبها أو كما يقول الشاعر زهير بن أبى سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ـ وإن خالها تخفى على الناس ـ تعلم

أما الأنظمة العربية والإسلامية التى بادرت بتأييد أمريكا سياسيا أو إعلاميا أو هما معا ، فإنها دون أن توصف بالعمالة والخيانة ، وأن هذه الأنظمة أغلقت عيونها وصمت آذانها تجاه ما تشنه إسرائيل من حرب إبادية ضد شعب فلسطين الأعزل ، وتجاهلت أن الدولة العبرية اللقيط ، ماكان فى مقدورها أن تقفل شيئا لولا أمريكا ، بل وأسلحة أمريكا ..

* * *

لقد عرضت لمثلين : الجزائر وأفغانستان ، ولايتسع المجال ـ والأمثلة كثيرة فى مناطق ، دماء المسلمين فيها أرخص من التراب ، لأنها دماء مسلمة سفكت بأيد مسلمة أو بمعنى أدق ـ تدعى الإسلام ..

● فى عام ٩٧٠ خلال الانقلاب العسكرى فى إندونيسيا ضد سوكارنو والذى جاء بعده هو شرمنه ـ سوهارتو ـ وقعت مجزرة بشرية فى عدد لايحصى من الجنرالات ..بمؤازة من واشنطن !

● وفى اليمن الجنوبى حدثت مجزرة بشرية فى معركة بين الرفاق ، ظلت الجثث أياما فى الشوارع والطرقات .. ثم مجزرة بشرية فى الحرب بين الجنوب والشمال ..

● وفى عام ١٩٧١م كانت الكارثة التى حلت بباكستان وانتهت بشطرها شطرين وانتهت بوجود بنجلاديش ، وبلغ الانفصاليون ذروة

الخيانة حين استعانوا بالهند الهندوسية ضد إخوان لهم فى العقيدة ، والهند هى العدو المتربص بباكستان المسلمة الدوائر ، كان قائد الانفصال ـ مجيب الرحمن ـ وهو اسم على غير مسمى ، والذى انتهت حياته باغتياله فى ١٥ / ٨ / ١٩٧٥م جزاء خيانته .

والكارثة لم تتوقف عند نجاح الانفصال ، فقد قامت الحرب المباشرة بين الباكستان والهند ، كانت الهزيمة المروعة لباكستان ، والتى اعتبرت وصمة عار فى جبين الأمة المسلمة .

انتصرت الهند الوثنية على باكستان المسلمة ، لأن الأمة المسلمة لم تحرك ساكنا ، بل ظل بعضها محافظا على صداقته للهند ، بينما روسيا الشيوعية أعانت الهند بالسلاح ، وكانت طائراتها تتمول من مطارت القاهرة فى وقاحة . بينما خذلت الصين باكستان الصديقة .

● ليس القارئ فى حاجة إلى ما حدث بين إيران والعراق ،وبين العراق والكويت ، وما حدث فى تشاد وما حدث وما يزال يحدث فى الصومال ..

والخلاصة : إن الإسلام وحده هو الذى يدفع الثمن :

وصدقت نبوءة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم » .

* * *